مكتبة البنين
قسم الدوريات

حولية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

غير مسموح بإعارتها من المكتبة

العدد الرابع

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

الاتجاه الوجداني في شعر خالد الفرج وأثره في بعث الروح العربية والتربوية

١٣١٦ ـ ١٣٧٤ هـ / ١٨٩٨ ـ ١٩٥٤ م

د علي عبد الخالق علي

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ـ كلية الإنسانيات

على شطآن خليج الذهب الأسود ، ومن جماعة (آل طراد) (١) في الكويت ـ رزق (محمد ابن فرج الله) بابنه (خالد ١٣١٦ ـ ١٣٧٤ هـ) / ١٨٩٨ ـ ١٩٥٤م) الذي بدت ملامح النجابة عليه منذ حداثة سنه ؛ فأدركه نبوغ وعبقرية شاعرية أحدثت أثرها في الأدب المعاصر للخليج . وشهدت (المدرسة المباركية) أولى مراحل تعليمه (١٣١٦ ـ ١٣٣٦هـ) . ثم هاجر إلى بلاد (الهند) ، ومكث بها خمس سنوات (١٣٣٦ ـ ١٣٤١هـ) في حياة مليئة بالحركة التجارية والنشاط الثقافي . وفي هذه الأثناء تعرف على بعض جماعته ، وتوثقت صلته بهم ؛ فأتيح له إجادة اللغة الإنجليزية ، والتعرف على آداب الهنود وطبائعهم ، والأخذ بتالد الثقافة وطارفها ما كون به نشاطاً علمياً موفورا وحركة أدبية بإنشائه للمبطعة العمومية في الهند تلك التي أدت إلى نشر الثقافة والأدب العربي في المهاجر الشرقية . وقد احتفى بالتراث العربي تذوقا له واستمداداً منه وتأثراً بقيمه واتجاهاته ، كما أن إدراكه لأهمية الثقافة المعاصرة كان أعمق صلة بفضل متابعته لما تنشره (صحيفة الأخبار) لصاحبها (أمين الرافعي) من قضايا الأمة العربية ، وبوجه خاص

---

(١) فخذ من (المناديل) الذين ينتسبون لقبيلة (الدواسر) التي ترجع بأصولها إلى (قحطان) . عملوا بالتجارة بين شواطي الخليج ؛ حتى استقر بهم المقام بالكويت . وقد ظهر منهم شعراء من أبناء عمومة (خالد) أمثال (عبد الله بن محمد بن فرج ١٢٥٢ ـ ١٣١٩هـ) ، نظم بالفصحى ولـه شعـر نبـطي ، وعـرف (بمحيي الهـوى) لغـزليـاتـه الـرائقـة . وقبيلة(الدواسر) من قبائل العرب المعدودة التي سكنت (وادي الدواسر) جنوبي نجد ، وكافة شبة الجزيرة . وكانت قبيلة بني سعد بن زيد في الجاهلية تلقب بالدواسر الذين ينتسبون إلى (مرهبة بن دوسر) واللفظ يعني : القوة والشدة والضخامة والإقدام . وأوصل الهمداني في كتابه (الأكليل) نسب (مرهبة) إلى (حاشد) من همدان الكبرى . والدواسر قحطانيون أزديون ، التحق بهم بطون وأفخاذو أسر عدنانسة جمعتهم الدواسر في تحالف ، وقد استقروا فيما بين الأحساء وقطر والبحرين .

ابن منظور : لسان العرب مادة : دوسر ، خالد الفرج : مقدمة ديوان عبد الله الفرج ص١٣ ـ الكويت ـ ذات السلاسل ، عبـد الله خميس : معجم اليـمامـة ١/ ٤٤٦ ـ دار اليمامة ، د. فتوح عبد المحسن الخترس : هجرة الدواسر من البحرين ١٩٢٣ . ١٩٢٨م . بحث منشور : حولية كلية الإنسانيات ـ جامعة قطر عدد ١١ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ سنة ١٩٨٨م .

أحداث الخليجي مع الاستعمار الإنجليزي ، وتفضح ما يرتكبه من مآس مع أهل الخليج .

وحين عاد إلى شرق الجزيرة تجدد نشاطه الأدبي، وتجاوبت شاعريته في مواكبة أحداث العصر ، وانفعل بما حوله ؛ ولأنه محب للشرق العربي ، مدين له بالوفاء والجميل ، فقد بقي ـ بعد عودته ـ (بالبحرين) قرابة أربع سنوات (١٣٤١ ـ ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٢ ـ ١٩٢٦م) عمل فيها بالتدريس في (مدرسة الهداية) ، وكان مما حبب إليه الأدب ، وزاد في تعلقه بالشعر وجوده وسط حركة أدبية رحبة بالبحرين والكويت والمنطقة الشرقية حيث تقام الندوات الثقافية ، وتعقد ديوانات الأدب . وأفضى عمق صداقته للشيخ (عيسى بن علي) حاكم البحرين آنذاك (١) ، وشدة صحبته له ـ إلى تغلغل بواعث الروح الأدبية والعلمية في وجدانه ، وإلى استثارة الوجدان نحو القيم الأصيلة . ولاشك أن مقامه (بالبحرين) كان يمثل عودة إلى ضمير الأمة كلها ؛ فما (البحرين) إلا جزء من ثرى أمته الممتد من الخليج إلى المحيط ، وإنها تمثل درة الخليج في ماضيها ، كما تمثله في حاضرها . إن أنس الشاعر (بالبحرين) لم يكن لينسيه جميلها فحقيق به أن يناديها بمثل قوله (٢) :ـ

يا درة وسط الخليج تلألأت ... وزهت عليه بنورها الوقاد
الدر من حصبائها ، والتبر من ... أمواها ، والمجد في الأولاد
تلقى النزيل بمثل شهد نخيلها ... وتضمه بالصدر والأعضاد

وهكذا يمجد وطنا طالما حن إليه حتى يقول :

والمجد فيها شامخ متقادم ... ل (ثمود) يرجع عصره أو (عاد)
في كل شبر قلعة أو مسجد ... هذيك ظاهرة ، وذلك بادي
وبكل يوم طود مجد قائم ... مجد طريف فوق مجد تلاد

ووجد (خالد الفرج) في المفكر التونسي الشيخ (عبد العزيز الثعالبي) الذي زار (البحرين) سنة ١٣٤٣ هـ ما كان يأمله ويسعى إليه بظهور ذلك المصلح صاحب الفكر

---

(١) يكاد كثير من المؤورخين يجمع على أن دخول منطقة الخليج العربي فترة التقدم كان ببداية القرن الميلادي العشرين . وربط المورخون دخول البحرين العصر الحديث بالاستقرار في عهد حاكمها الشيخ (عيسى بين علي ١٨٨٧ ـ ١٩٢٣) حيث بدأ النشاط العلمي والثقافي في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

(٢) خالد سعود الزيد : خالد الفرج : حياته وآثاره ص ١٤ ـ ١٥ ـ الكويت ـ سنة ١٩٨٠ ـ الطبعة الثانية ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع . والنص من البحر الكامل التام (متفاعلن) ٦ مرات .

الناضج ، والبصيرة الثاقبة ، والأفق الواسع ، ووجد بغيته فيه ؛ فرحب به أجل ترحيب ، وخصه بغرر قصائده ، كـ (بائيته) التي تدل على بعد نظره التربوي في الدعوة إلى العلم والثقافة :

إن رضت بالترحيب كل مواهبي ... بك - يازعيم - فذاك دون الواجب
لو يُحتفى بك حيث صيتك طائر ... خرس الأديب ، وجف حبر الكاتب
قمنا لديك مهنئين نفوسنا ... كمرحبين بغيث علم ساكب
ما الاحتفال ، وإن تضاءل مظهراً ، ... إلا عواطف أفرغت في اقلب
والله يعلم ما تكن قلوبنا ... لمقامك السامي العلي الجانب (١)

وهو يستحث المفكر التونسي لجمع الشمل ، وبلوغ القصد ، وتوحيد الكلمة والنهوض بمنطقة الخليج على أسس من العلم والتربية والتهذيب :

(عبد العزيز) وأنت أفضل قادم ... وافى بوقت للنهوض مناسب
بلغت به النفس التراقي من عنا ... جهل لأطناب المذلة ضارب
لا خير في بلد يشيب شبابه ... لم يسمعوا بمدارس ومكاتب
بالله إن سطرت عنهم أسطراً ... وكتبتها بنجيع قلبٍ ذائب
فأبن لهم سر المذلة عليهم ... يقفوا على كيد العدو الواثب
فاكتب وعظ وانشر خباياها لهم ... في الخافقين فأنت أكبر كاتب(٢)

وواضح من هذا الترحيب أنه أناط بالمفكر التونسي نهضة شعب الجزيرة ، والتمكين له ، بالعمل على بث القيم الأخلاقية والتربوية ف (لا خير في بلد يشيب شبابه لم يسمعوا بمدارس ومكاتب) . وشعراء البعث والإحياء في منطقة الخليج كان عليهم عبء النهوض بالصحوة العلمية والفكرية والأدبية ؛ ولذ فقد عقد الكثير منهم آمالا كباراً على المفكرين والمصلحين وعلى دعاة الوحدة العربية والمد الإسلامي المتجدد ، والصحوة الفكرية . وإذا كان (خالد الفرج) قد

(١) الزيد (خالد سعود) أدباء الكويت في قرنين ١/ ١٧٨ - ١٨٠ ، الطائي (عبد الله محمد) الأدب المعاصر في الخليج العربي ١٨ - ١٩ - لقاهرة سنة ١٩٧٤ معهد الدراسات العربية - وتقع في أكثر من ثلاثين بيتا ، وهي على (البحر الكامل) التام متفاعلن ٦ مرا . . ورضت مواهبي : ذللتها وقدتها . وقيلت في ذي القعدة من عام ١٣٤٣ ، وذلك بالنادي الأدبي في البحرين . والبيت الثاني روي على هذا النحو (لو يحتفى حيث قدرك صائر . . عجز الأديب . . .) الخ في كتاب (خالد الفرج) ص٨٤ للمؤلف نفسه . وهو يستحث المفكر التونسي للأخذ بيد شعب الخليج والنهضة به من الفرقة ، واجتماع شمل حكامه لطرد المستعمر ؛ فالأجنبي والفرقة والجهل كلها عوامل ضعف وانهيار للأمة .
(٢) المصدر السابق نفسه ٨٤ / ٨٥ .

استبشر خيراً لأبناء الخليج بقدوم الشيخ (عبد العزيز الثعالبي) للبحرين على الرغم من ضيق بعض العلماء المتشددين من هذا الانفتاح على الصحافة ، وعلى مفكري مصر والمشرق والمغرب العربي كالشيخ (عبد العزيز العلجي ١٢٨٩ ـ ١٣٦٢هـ) عالم الأحساء الكبير الذي عارض هذا الانفتاح الفكري (١) ـ فإن كثيرا من المفكرين زاروا المنطقة أمثال الشيخ (محمد الشنقيطي) و (محمد البشيرالإبراهيمي) و (أمين الريحاني) و (سليمان الباروني) . وقد حظى الزعيم الليبي المجاهد الشيخ (سليمان الباروني) بحفاوة بالغة عند الشاعر (أحمد بن سلطان بن سليم) شاعر دبي حيث قال فيه مهنئا بقصيدة مطلعها :

هنت عمان بما حازته بلدان ... لأنها بك تزهو يا (سليمان)

وعلق عليه (سليمان بن سعيد الكندي) شاعر عمان آمالا فقال :

قم (سليمان) في صلاح البلاد ... لا تبالي بقول أهل العناد
إنما أنت عالم كيف أضحت ... أمم الغرب تزدري بالعباد
هي بالعجز أم بجهل بنيها ... نالت المجد أم سمت بالرقاد
فابذل النفس والنفيس وشمر ... واصرف الجهل من صميم الفؤاد
وانشر العلم والمعارف وامحق ... أثر الجهل من جميع البلاد

وبمثل ذلك رحب الشاعر الكويتي (راشد السيف) بالشيخ (محمد البشير الإبراهيمي) بقصيدة مطلعها :

---

(١) لعل أشد ما حفز الشيخ (عبد العزيز العلجي) في معارضته لحركة النهضة ، وتحفظه عليها وتشدده ـ هو ما كان يعتقده من اثارها الفكرية التي قد يختلط فيها حق بباطل من جراء التساهل والتسامح والتوسع في المستقبل . فإن ما كان يخيفه لا يكمن في انتشار الصحف في منطقة الخليج كـ (الأخبار) لأمين الرافعي و(المنار) للشيخ محمد رشيد رضا و (المنهاج) للشيخ الجزائري أبو إسحاق أطفيش ، ولا يكمن في ظهور المجددين وشيوع أفكارهم في الجزيرة أمثال السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا والشيخ عبد العزيز الثعالبي والشيخ سليمان الباروني ومحمد الشنقيطي ومحمد البشير الابراهيم وغيرهم .

إنما يريد أن تبقى الأمة بعيدة عن التيارات الفكرية الأجنبية ويخشى عليها من جراء ما سيأتي به المستقبل ؛ ولذا فالحملة عليه من بعض الشعراء أمثال (السيد مساعد بن السيد عبد الله الرفاعي) والمؤرخ الكويتي (عبد العزيز الرشيد) والشاعر (عبد الله الزائد) في البحرين كانت انفعالا متسرعا ورد فعل لما عليه المنطقة من انغلاق الفكر ومحاربة الاجتهاد والمواءمة بين حاجات العصر وثبات القيم والتقليد والتجديد .

وكل ذلك شيء من الصراع بين القديم والجديد ، وهو صراع بين عصرين ومنهجين ؛ في جانب أحدهما تشدد مبالغ فيه ، وعلى الجانب الآخر تساهل تخشى عواقبه والاستمرار فيه دون ضوابط تحكمه إنه صراع بين الثبات والتحول والمحافظة والتجديد .

سكبت لكم من ذوب قلبي وخاطري عصارة روحي في قويلب شاعر[1]

و (خالد الفرج) كان أكثر جرأة وصراحة عندما علق الآمال على المفكر التونسي (الثعالبي) ، وعندما انتقد معاصريه وزعماء الخليج بأسلوب ساخر حزين فيقول له :

يا أيها (الأستاذ) جئت منقبا عما ل (يعرب) من طلول مناقب !
لترى بقايا الفاتحين ونسلهم وهل استطاعوا رد مجد ذاهب ؟
جبت الجزيرة غربها وجنوبها فرأيتها بتقاطع وتناصب
في كل مرحلة مليك قائم شغلت دقائقه بآخر طالب
لعدوه في ذلة ، عن قومه في شاغل ، من جهله في قالب
وبكل شبر في الجزيرة أمة ترنو إلى جيرانها كأجانب[2]

وهو ما عبر عنه في قصيدته (الشرق والغرب) حيث يقول :-

هذي بلاد العُرب في ضعفها لا يعطف الجار على جيرانه
في كل شبر دولة تاجها كصاحب التمثال في جوقته
يلعب في تيجانها ضيدها كلاعب (الشطرنج) في رقعته[3]

وفي زيارة (السيد أبي الحسن الندوي) عالم الهند المشهور لمكة المكرمة سنة ١٣٧٠هـ يربط (خالد الفرج) بين ذلك المؤتمر وما تمناه الشيخ الحلبي (عبد الرحمن الكواكبي) من التقاء المسلمين في مكة لمحاولة تدارس قضاياهم[4]

بـ (أم القرى) من قبل خمسين حجة أقام اجتماعاً للوفود (الكواكبي)
لتشخيص داء المسلمين وما الذي ينبههم كي يلحقوا بالأجانب
مضى نصف قرن دارها الدهر دورة فعاد كما يبدو شروق لغارب
رأى كل شيء باقيا في مكانه وإن بدلت أسماء بعض الجوانب
وكانت لدى الإسلام أكبر دولة غدت قدداً تذرى بكف التلاعب
وقد كان للإيمان ركن موحَّد يصادم عنها داهيات النوائب
فضاقت عقول الناس إلا أقلهم فلم تر ما خلف الستور الحواجب

(١) راجع : الطائي (عبد الله بن محمد) الأدب المعاصر في الخليج العربي ص ١٥ - ٢١ .
(٢) الرشيد (عبد العزيز) تاريخ الكويت ص ٢٥ ، الزيد (خالد سعود) : أدباء الكويت في قرنين ١/ ١٣٤ .
(٣) خالد سعود الزيد : المصدر السابق نفسه ١/ ١٣٤ .
(٤) من قصيدة تبلغ الثلاثين بيتا وهي على (البحر الطويل) فعولن مفاعلين ٤ مرات . المصدر السابق نفسه ٤٣ - ٤٤ .

ثم يلتفت إلى (أبي الحسن الندوى) (١) معلقا عليه الآمال في جمع الشمل ، وعقد المؤتمر فيقول :

ومن حسن حظي أن أراني سائلا ... لهالة فضل حول أزهر ثاقب
(أبي الحسن الندوي) ، والعالم الذي ... يضيف لكنز العلم شتى التجارب
فنعقد في جو الحقائق (ندوة) ... ب (أم القرى) لا فكرة في حقائب (٢)

وفي هذا ما يجلي الموقف على أن الروح الوطنية العربية ممتزجة في شعر (خالد الفرج) دائما بالروح الدينية والصحوة الإسلامية ، وكان ذلك أمره الشاغل الذي صرف الأدب نحوه ، وألهم شعراء جيله أن يرتادوه وهذا أثر زيارة المفكرين والمصلحين في الثلاثينات من القرن الميلادي العشرين لمنطقة الخليج . ولعل الفرق واضح بين ظهور صحوة الخليج آنذاك وما سبقها من سنوات أثناء مرور (السيد جمال الدين الأفغاني) في الخليج ؛ فإنه لم يلق حقه من التكريم ، بل لم يجد من يضيفه أو يرحب به لانقطاع الصلة ، ولعدم ظهور اليقظة والدعوة وعلل ذلك الشيخ (إبراهيم بن محمد) أحد الشعراء بأنه «لم يكن في تلك الأيام من يعرف لجمال الدين مقاما ، ولا من يكترث به ؛ حتى إنه لم يجد في هذا البلد (البحرين) من يضيفه منذ ثلاثين سنة . أما اليوم فالفرق كبير بيننا وبينهم في ذلك الزمان ، ترانا اليوم نرحب بالعلم ورجاله » . (٣)

وكما وجد في الشيخ (عيسى بن علي) حاكم البحرين صدراً رحباً ظل يشيد فيه بأعماله ، ومنها افتتاح (مدرسة الهداية) التي تعد صرحاً لنضج الفكر ، ونشر العلم إدراكاً منه بأهمية الدراسة ، وإشاعة جو الثقافة على هدى من النظم التربوية والتعليم الحديث ؛ فبالعلم تتقدم الأمة ، وتتحرر من ذل الاستعمار وسيطرته :

آلامنا آمالنا وشفاؤها ... لو حققت بتكاتف وتحابب
ومدارس تنمي الفضيلة بيننا ... لتردنا نحو الطريق اللاحب (٤)

وإذا كانت الأمال لا تتحقق إلا بالعلم ؛ فالمجد لا يورث عن جهل ، واليقظة لا تظهر مع خواء الفكر وضعفه وتفاهته .

---

(١) نسب إلى الندوة وهي جمعية ندوة العلماء بالهند .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

(٣) الطائي (عبد الله بن محمد) الأدب المعاصر في الخليج العربي ص ١٩ .

(٤) المصدر السابق نفسه ص ٢٥ ـ ٢٦ .

لا مجد إلا بالعلوم ونشرها ... في الشعب حتى ترتقي طبقاته
فانهض لبث العلم فهو دواؤه ... وبمثل شعرك فلتكن دعواته
فالجهل آفة كل شعب في الورى ... كالقز تهلك نفسه حشراتها
قد خدر الأعصاب فعل سمومه ... وعلى جفون القوم ران سباتها

كذلك وجد في (أمين الرافعي ١٨٨٦- ١٩٢٧) الذي أخذ على عاتقه نشر مآسي الاستعمار في الخليج العربي ما يحرك وجدان شعب الخليج فرثاه بقصيدة طويلة مطلعها :

نشر الحزن على الشرق سحابا ... يملاء الأنفس هما واكتئابا (١)

وكان قد واكب تلك الفترة نهضة الأدب في مصر والشام ، والإجماع على تقليد (أحمد شوقي ١٨٦٩ - ١٩٣٢) إمارة الشعر؛ فلم يدع (خالد الفرج) تلك الفرصة تمضي دون أن يهنيء (شوقي) على لسان الشرق العربي كله بقصيدة تدل على مدى ارتباط الحياة الأدبية في الأمة ، وعلى التجاوب فيما بينها مطلعها :

من منبت الدر تسليم وتكريم ... لشاعر اللغة الفصحى وتفخيم
حياك في دارنا (البحرين) لؤلوها ... والنخل إذ بسمت فيه الأكاميم (٢)

وكان حفل تنصيب (شوقي) لإمارة الشعر سنة ١٩٢٧ دافعاً للنادي الأدبي في البحرين إلى إهداء (شوقي) نخلة ذهبية ذات عناقيد من اللؤلؤ(٣) مع قصيدة (خالد الفرج) التي ألقيت

---

(١) ديوان خالد الفرج ص ٦٥ : خالد سعود الزيد : خالد الفرج حياته وآثاره ١٣ - ١٦ والقصيدة تبلغ ٦٥ بيتا من (البحر الرمل) التام فاعلاتن ٦ مرات .

(٢) القصيدة تبلغ ٤١ بيتا وهي على البحر البسيط (مستفعلن فاعلن ٤ مرات) ، ونشرت لأول مرة في مجلة البعثة الكويتية يوليو ١٩٤٩ في مصر ، وعلق عليها فهد الدوير .

(٣) تبرع بها الشيخ (حمد بن عيسى آل خليفة) وهي من ذهب وتحمل رطباً من لؤلؤ ، وقدمت إلى شوقي مصحوبة بقصيدة (خالد الفرج) فاستبشر بها شوقي خيرا ، وقال :-

قلدتنا الملوك من لؤلؤ (البحرين) آلاءها ومن مرجانه
نخلة لا تزال في الشرق معنى ... من بداواته ومن عمرانه
حن للشام حقبة وإليها ... فاتح الغرب من بني مروانه

الطائي (عبد الله بن محمد) الأدب المعاصر في الخليج العربي ٢٩

في حفل دار الرابطة الشرقية بالقاهرة في إبريل سنة ١٩٢٧م(١).

ولم يترك (خالد الفرج) بلاد (البحرين) إلا بعد ما أقصى الشيخ (عيسى بن علي) عن الحكم ، وخلا الجو فيها للميجر الإنجليزي (ديلي) سنة ١٩٢٧م .(٢)ومن ثم اتجه (للكويت) لفترة لم تطل ، إلا انه استغلها استغلالاً حسناً ، وذلك بتوثيق علاقته بشعراء (الكويت) ثم إنه غادرها ـ فيما بعد ـ إلى المنطقة الشرقية في (الدمام) حيث استقرت قبيلته هناك ، ووضعت رحالها في كنف (آل مسعود)، واتصل بالملك (عبد العزيز آل سعود) الذي رحب به ، وأسند إليه بعض الأمور . ثم أتيح له أن يؤسس مطبعة في (الدمام) سنة ١٩٥٤ . وبقى (خالد الفرج) لأكثر من خمس وعشرين سنة هي كل ما تبقى له من حياة حافلة بالنشاط الأدبي . وفي أخريات أيامه ذهب إلى الشام حيث وافاه الأجل عن عمر يناهز الستين عاماً (٥٦) سنة .

ومما لا شك فيه أن هذه التحركات الواسعة ، والنشاط المتعدد الاتجاهات مابين (الهند) وديار الخليج العربي قد عادت على (خالد الفرج) بالخير ، فأكسبته سعة في الفكر وتنوعاً في مصادر الثقافة ورغبة في العلم ، واطلاعاً على الأنواع الأدبية ، وسرعة في البديهة ، وقدرة على مواجهة المواقف ، وإدراكاً لغاية الأدب ولأثره في استنهاض (الوعي) واستثارة (الوجدان الوطني) . كما كان لها الأثر في التحول بالقصيدة من شكلها التقليدي ، وتوسيع اتجاهاتها ، وتعميق أفكارها(٣)لتتناول القضايا الوطنية والاجتماعية .

ويعد (خالد الفرج) من رواد حركة النهضة الأدبية والثقافية في فترة كانت ضرورية

---

(١) الزيد (خالد سعود) : خالد الفرج : حياته وآثاره ١٣٣ ـ ١٣٥ .

(٢) ثار الدواسر على (الميجر ديلي) حينما قام بانقلاب على الشيخ (عيسى بن على آل خليفة) ، واستحوز على مقدرات أمور البحرين ، وقيد الحريات ، وأسر زعماء البلاد فاضطر الدواسر للنزوح عن البحرين إلى الدمام أسفا على عزل الشيخ (عيسى بن علي) .

(٣) من نتاجه الأدبي : ديوان شعر طبع جزؤه الأول في دمشق سنة ١٣٧٣هـ ، ثم ألحق به جزءا آخر ، وفيه ملحمة شعرية تتناول حياة المللك (عبد العزيز آل سعود) وأثره فيما يشبه قصة تاريخية (أحسن القصص) ، وطبعت بمصر في مائتي صفحة . بالإضافة إلى دراسة عن الشعر النبطي في نجد أسماها (ديوان النبط) بدأه بمقدمة نثرية عن أهمية الشعر النبطي وقيمته ، وطبع سنة ١٣٧٣هـ .

وله في النثر قصة قصيرة (منيرة) كتبها سنة ١٩٢٨ ، وتعد من بواكير الفن القصصي في الخليج ، وطبعت مع الديوان . وفي إطار الدراسة اللغوية ألف (علاج الأمية في تبسيط الحروف العربية) وطبع بدمشق سنة ١٣٧٣هـ . وفي مجال التاريخ كتب (رجال الخليج) تناول فيه تراجم لمشاهير رجال شرق الجزيرة من أمراء وأدباء ، كما أن له (الخبر والعيان في تاريخ نجد وما يجاورها من البلدان) ويقع في ثلاثة أقسام .

للانطلاق بالقصيدة، وتجاوز الشكل التقليدي إلى موضوعات منفعلة بالحياة وبالأحداث المعاصرة ، ومعبرة عن القضايا العامة . (١)

وكان النشاط الأدبي في تلك الفترة يتجه إلى التطور والبعث ويتهيأ فيها للخلاص من إسار التقليد ، وضعف الفكر، والاقتصار على موضوعات مكررة - إلى ارتياد آفاق جديدة في الشكل والمضمون . وكان شعر (خالد الفرج) فيما ينفعل به من قضايا الأمة ، وفيما يطرحه من أفكار يمثل حياته ، ويمثل وجدان الجماعة ويمثل فنا من فنون الامتياز الأدبي والثقافي ؛ ولذا فإن تياراً عربياً خالصاً ومضموناً وطنياً واجتماعياً سرى في أشعاره العربية والدينية التي أفرزتها حضارة ممتدة مما اكتسبه في نشأته بالكويت ودراسته سواء في انتمائه لأصول عربية خالصة ممتدة في قبيلة (الدواسر) ، أو في تحصيله العلمي في الكُتّاب وفي معاهد العلم المختلفة . ومنها تزوده في رحلاته ومهاجره بالهند بقسط وافر من الثقافات الأخرى واستيعابه لها من هندية وانجليزية ؛ فالتقت في شعره الروح العربية الأصيلة المتعمقة في التراث مع تيار الثقافة الأجنبية . وقد وازن بين الروح العربية ، ونزعة التجديد في إطار غلبت فيه ثقافة بيئته ودينه وقيم مجتمعه دون إسراف في التقليد ، أو إفراغ إبداعه في قوالب محتذاة ؛ بل كان حريصا على استخدام الصياغة الجيدة ، والتركيب الصحيحة محتفظا في ذات الوقت بشخيصته وظروف عصره ؛ فاستطاع أن يكون اتجاها خاصاً ، وأسلوباً متميزاً يشكل موضوعات شعره بما جعل منه دعوة لليقظة ، وبعثا للروح الوطنية ، ومجالا أخلاقيا وتربويا ليست بين أبناء الخليج حسب ؛ بل تجاوز التطلع الاقليمي إلى

---

(١) ولشهرة (خالد الفرج) فقد ألفت فيه عدة دراسات تناولت جوانب مختلفة من حياته وأدبه ، منها :-

١ - خالد الفرج : حياته وآثاره لمؤلفه خالد سعود الزيد الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م .

٢ - أفرد له جزءاً من كتابه عبد الله محمد الطائي (الأدب المعاصر في الخليج) .

٣ - كتب عنه عبد الله بن إدريس في كتابه (شعراء نجد المعاصرون) .

٤ - كما كتب عنه عبد العزيز النعيم في كتابه (المنطقة الشرقية بين الماضي والحاضر) .

٥ - ويوسف سالم في (معجم أدباء الكويت) .

٦ - وعبد الرحمن العبيد في (الأدب في الخليج العربي) .

٧ - والدكتوره عواطف الصباح في كتابها (الشعر الكويتي الحديث) .

٨ - ومحمد بهجت سنان في كتابه (الكويت زهرة الخليج العربي) .

٩ - هذا بالإضافة لمقالات أخرى عنه للدكتورة نورية الرومي ، والدكتور محمد بن سعد بن حسين ، وأحمد قبش وغيرهم .

روح المجتمع العربي كله ، وإلى وجدانه الجمعي في وقت كان من الضروري الالتفات حول قضايا المشرق العربي في النصف الأول من القرن الميلادي العشرين فيما بين الحربين العالميتين ١٩١٤ - ١٩٤٥م .

على هذا النحو ترجع عوامل إنجلاء شخصيته ، ومبررات وجودها ، وما تبعها من ميل إلي الشعر لعوامل متشابكة ، ولروافد متصلة في أساسها ، ولعل من أبرزها الأصل العربي ، وما يحمله ذلك من سليقة في الأداء ، وفطرة في التذوق أشربت روحه ملامحهامنذ حداثته في بيئة عربية خالصة ، إلى جانب عناصر الثقافة المحدثة ، واتصلاته بالشعراء والعلماء والأمراء ، وتنقلاته المتعددة .

والـذي عمق ثقـافتـه حبه للتنقل والأسفار ، واشتغاله بالتدريس وغيره ، وارتياده للنوادي ومجالس الأدب ، واتصاله بالشعراء أمثال (عبد اللطيف النصف ١٣٢٣ - ١٣٩١هـ / ١٩٠٤ - ١٩٧١م) و (صقـر الشبيب ١٨٩٤ - ١٩٦٣م) و (عبد الله الخلف ١٢٩٢ - ١٣٤٩هـ) و (السيد هاشم الرفاعي) الأديب الكويتي ، وتأثره بشوقي ١٨٦٩ - ١٩٣٢م) في الاتجاه الوجداني الجمعي ، وتهنئته له بإمارة الشعر سنة ١٩٢٧م ، ثم علاقته بالأمراء والملوك مثل الشيخ (عيسى ابن علي) والملك (عبد العزيز آل سعود) . وتحقق له ما يصبو إليه من المحاولات الحثيثة للانتقال بالشعر من مرحلة الجمود والضعف والتقليد إلى آفاق جديدة ، وصياغة واضحة دقيقة بمشاركته في أنشطة النوادي الثقافية . ولاشك أن جهوده المتصلة جعلت النادي الثقافي بـ (البحرين) (١) يزدهـر بشتى أنواع المعارف . ولعل ما جعل بعض الكاتبين ينظر إليه على أنه (شاعر الخليج العربي كله) (٢) أو (لم يكن في الخليج من يضاهيه) (٣) هي تلك الأسباب من النشأة والاتصال بالأمراء وحب الشعر وكثرة تنقلاته .

وليس من اليسـير الحكم على مستـوى شعـره وقيمته ، ومدى تفوقه على شعراء الخليج المعاصرين له تفوقاً ملاحظا فيه القيمة الموضوعية والجودة الفنية إلا على أساس من استقراء شعره وموازنته بشعر معاصريه أمثال (أبو مسلم الرواحي البهلاني ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) و (محمد ابن شيخان السالمي ١٢٨٩ - ١٣٤٦هـ) و (ابن عثيمين ١٨٥٣ - ١٩٤٣م) و (فهد العسكر

(١) أنشيء النادي الأدبي سنة ١٩٢٣ م .

(٢) محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى التي كانت تصدر في مصر سنة ١٩٢١ . انظر عبد الله محمد الطائي - الأدب المعاصر في الخليج العربي ٨٩ .

(٣) خالد سعود الزيد : خالد الفرج ص ١٣ .

١٩١٣ - ١٩٥١) و (صقر الشبيب ١٨٨٣ - ١٩٦٣م) وغيرهم ممن كانوا ينزعون منزعة في الصياغة والأداء ، ويماثلونه في الاتجاهات ، ويقفون معه في الجودة الفنية ؛ فذاك حكم يحتاج لبرهان ودراسة مفصلة تفصح عن الجودة في الأداء والتصوير والبناء الفني والنغم والوزن . . ومن ثم يأتي آخر الأمر موضوعيا قائما على أسس فنية ، ونقد مبرر .

وإذا كان الفن بوجه عام والشعر خصوصاً هبة في القرائح كهبة الجمال في الوجود ، والصفاء في النفوس ، وإشراقا توحي به (عبقرية) فذة - فإن ذلك شأن يتسع لإلهامات الكثيرين من الشعراء أمثال من ذكرنا ، وأمثال (سعيد بن ناصر الكندي ١٢٩٢ - ١٣٨٠هـ) و (هلال بن بدر البوسعيدي ١٩٠٣ - ١٩٦٦) و (عبد الله بن محمد الطائي ١٩٧٣م) وغيرهم من شعراء العربية .

غير أن ما يميز شعر (خالد الفرج) هو ذلك الثراء الذي ينزع به إلى (الاتجاهات الوطنية والقومية) والاهتمام بقضايا أمته والتصدي لها . والاتجاه القومي في الأدب يمثل دعوة تجددت في الأدب الحديث على يد الدكتور (محمد حسين هيكل ١٨٨٨ - ١٩٥٦) ووجدت صدى لها فيما صوره كثير من الشعراء من مواقف وطنية وعربية . وهذه الدعوة تتجه على أن يعمل الأدباء في دأب على تمثل (الميراث العربي) الأصيل لتاريخ الأمة[1] وكانت طبيعة شعره القومي ترى أن (الخليج العربي) بما يحمل من تراث هو أقرب ما يكون لحياة أهل الخليج في العسر واليسر ، وطبيعة المنطقة بما فيها من جمال رتيب فيه افتنان فطري - يعد شعرا قومياً مثل التاريخ . ومن المعروف أن الفن يبدع الجمال حتى عند ذوي الأرواح الثقيلة ، والنفوس الجامدة أمام مثال الجمال . والأدب يحبب أصحاب هذه الأرواح غير المضيئة في الحياة ويزينها في نفوسهم ؛ بل ويدعوهم لزيادة تجميلها ، ومساعدة الطبيعة في إظهار صورتها .

ومما لا شك فيه أن محاولة إحياء التاريخ القديم ، واستلهام طبيعة الوطن، وجمال ربوعه وروابية ومآثره كانت وقفة عربي صادق الوجدان تفيض بها مشاعره . وإن هذا الاتجاه يهز المشاعر بصور الماضي العريق في قداسته ومهابته؛ فترتفع نفس الشاعر عن مستوى الحياة إلى استشراف آفاق جديدة وباقية . و(خالد الفرج) - بوصفه من شعراء الوجدان القومي في الخليج - يعطي المثال الصحيح في الأسلوب العالي . وذلك في أقرب وسيلة لوضوح شخصية الأديب فيما يجليه من انفعال هو اتصال ما يكتب بوجدانه وبفكره ، وبكل حواسه . وهذا قائم على المزج بين

(١) هيكل الدكتور (محمد حسين) ثورة الأدب ص ١٤ وما بعدها .

(الوجدان الذاتي) و (الوجدان الجمعي) . ولقد أدرك (خالد الفرج) من أعماقه مآسي أمته ومحنتها مع الإنجليز ، وما يصنعونه بزعمائها من نكال ، ثم يؤوبون بالنعيم وما يستغلونه من أرزاقها .

وكان ظهور (خالد الفرج) بما يمثله شعره انطلاقة جديدة؛ فلم يعد يحرص إلى التفكير في شخص الممدوح ، أو الحديث عن صفات تكون أو لاتكون ، ولا الانشغال بالذات وما يعود عليها من كسب مادي ؛ وإنما سعى إلى استلهام (روح الجماعة) وما تعيشه من أحداث عامة ، وما يصادفها من مشاكل ؛ فجاء شعره تعبيرا عن آمال أمته ، ودلالة على عودة الروح في الاستنهاض واليقظة ، والالتفاف حول مبادئ وقيم من الدين والحمية العربية والأنفة والكبرياء . وكثيرا ما جاء تعبيره ممزوجا بالسخرية حينا وبالجد أحياناً . ومن ثم تحرر شعره من (الذاتية) المفرطة التي طالما بددت طاقات فنية لشعراء كثيرين ، إدراكاً منه لغاية الأدب ومغزاه ورسالته الاجتماعية والفكرية والأخلاقية والتربوية ، و كل مايهم (الجماعة) وما ترنو إليه من أمل عربي ، وتغير اجتماعي ونظرة إنسانية ؛ فكان أن امتزجت روحه بروح مجتمعه ؛ فجاء شعره أثر مشاعر فياضة متحرراً من قيود (الذاتية) سعيا نحو أهداف نبيلة على نحو قول (الرصافي) وقد أبعد :-

إذا لم يعش حرا بموطنه الفتى ... فسم الفتى ميتا وموطنه قبرا
أحريتي إني اتخذتك قبلة ... أوجه وجهي كل يوم لها عشرا
وأمسك منها الركن مستلما لها ... وفي ركنها استبدلت بالحجر الحجرا

إذ قد جعل الحرية قبلة يتوجه إليها ، واستبدل حصاها بالركن والحجر .

وتحقق له قدر كبير من التعبير عن النفس ممتزجة بالعصر والموقف . ولم يعد يستشعر قيمة لمعنى حياة النفس بعيدا عن الجماعة ؛ فالانفصال بين (الذات) و (الجماعة) لايستقيم في وجدان شاعر غايته أن يصل نفسه بالمحيط الواسع ، وبالجماعة التي يعيش معها ، ولم يكن للشاعر من حسنات إلا التعبير عن وجدان الجماعة ، والدعوة إلى استنهاض الهمم ، وتهذيب النفوس ، وتربية الأفهام ، وتنبيه الخواطر للقيم الخلقية والوطنية والإنسانية لكفاه ذلك ، ولكان قد بلغ الغاية في شأنه من الحركة الإصلاحية التي دعا إليها أمثال الشيخ (عبد العزيز الثعالبي) و (أمين الرافعي) و (سليمان الباروني) و (جمال الدين الأفغاني) ؛ فالتجربة الشعرية الجيدة تتسم بالوعي ، والوعي عماده الموقف الفكري الذي يوسع دائرة الوعي .

على أن أدق ما يمكن أن يقال في هذا المجال وأيسره أن (خالد الفرج) يعد أحد الأعلام

المبرزين في الخليج وشرق الجزيرة ؛ هؤلاء الذين حاولوا بعبقريتهم ارتياد آفاق فنية جديدة وجديرة فكان لهم ما أرادوا . ولاشك في أن لـ (خالد الفرج) حظا موفورا من هذه الريادة جعل منه شاعرا وسطا للمحافظين والمجددين على حد سواء ، وجاء شعره تعبيرا على أن ثمة نهضة أدبية له فيه نصيب، وأثر لدى معاصريه من شعراء الخليج وغيرهم في مصر والشام والعراق . وسرت في شعره ومضات من روحهم ، ودفقات من مشاعرهم سريان التشابه والانسجام والتأثر والتأثير في وقت كان الشعر العربي ـ في غالب بيئاته ، ومنها شرق الجزيرة ـ مايزال دائرا في فلك النزعات التقليدية ، مقصورا على المدح الشخصي ، والرثاء والتاريخ للأحداث ، تشيع فيه الألغاز والأحاجي ، ونظم العلوم والمتون دون التفات لـ (وجدان الجماعية) أو نظر لقضاياها ، وما تمثله من مواقف وأحداث ، واستشراف لمعاني العزة والكبرياء .

الاتجاة الوطني والروح العربية :ـ

لم يحرص(خالد الفرج) على أن يكون شاعر مناسبات وأحداث طارئة تمر الحادثة فيؤرخ لها ، ويتحدث عنها حديثا منفصلا منبت الصلة عن الجو العام ، وعن حركة التاريخ ووجدان الأمة ؛ ذلك أن الشعر الوطني ، واستثارة الحمية العربية لا يتحقق له الخلود والبقاء إلا إذا صدر عن نفس تدرك بعدا أعمق من مجرد تسجيل حادثة ، أو تصوير موقف عارض ؛ فهذه النفس تستطيع طرح الأفكار الهادئة المقنعة ، وتصوير المواقف الإنسانية التي يتجاوب معها الشاعر ، وعرض المواقف والأحداث بما تدل عليه من تداعيات ومبررات يستلهم منها المجتمع إضاءة ، وليست تسجيلا لبطولة شخصية ؛ بل على أساس البطولة الجماعية والوطنية التي ترتد للأمة جمعاء هذا في جانب الأفكار ، وأما من جانب الصياغة والأداء فالحرص أكثر على كل ما يخدم (الموقف) ، ويعبر عن (وجدان الجماعة) وآمالها دون نظر للنبرة الخطابية والصدى المتردد والانفعال الوقتي ، والنظم المتكرر ؛ فالشعر الوطني المتأثر بالروح العربية والإسلامية يتجاوز المناسبة والحدث الطارىء إلى مواكبة كل زمان ومكان وموقف ، وإلى التعبير عن إرهاصات الحدث ومغزاه والتنبؤ به قبل وقوعه ثم أثره الباقي ، ولذا فلا يعد تسجيلا للماضي بقدر ماهو دلالة على أحداث ومواقف تنتظر الأمة ؛ ذلك أن الماضي يحيا في الحاضر، والحاضر طريق للمستقبل .

وشعر خالد الفرج السياسي له طريقته الخاصة في التفكير وفي التعبير عن هذه الأفكار ، وتناول القضايا العربية والجماعية وعرضها بأسلوب يكشف عن هدف نبيل . وقد جمع بين التعبير عن (الذات) في صدق حسه الشاعري وأصالته وتفرده ، وبين استلهام (روح الجماعة) فيما تعانيه ويؤثر عليها في المواقف والأحداث . وترسخت معاني الإباء وإثارة حمية التجمع العربي

واستنفاره في وقت كان التعبير فيه عن (الذات) غاية وأملا لكثير من الشعراء . ولم يكن مبعث الروح العربية في قصائده مستوحى من مفهوم ضيق لا يتعدى النزعة الخطابية التي تصرخ في رنة عن بعض الأشكال والمعالم في أزمانها وأماكنها الثابتة ، وما يدل على الحدث من حركة تقف عند حدود الزمان والمكان والمواقف والتواريخ ؛ بل كان عمق النظرة للأمة العربية في حركتها مع الزمان والمكان والحدث نابعا من مدى إحساسه بقيمة العواطف والأحاسيس العربية التي هي جزء لا ينفصل عن العواطف الإنسانية في الشرق أو في الغرب ، ونابعا ـ كذلك ـ من قيمة الإنسان العربي وأثره الحضاري على المستوى المحلي ، وعلى المستوى الإسلامي والإنساني العام .

إن شعره من حيث الإطار العام يمثل فكرة القصيدة التي تجاوز بها ما عرف سابقا إلى اتجاهات وطنية وإسلامية وعربية . ومن حيث المشاعر فهي ممتزجة بمشاعر المجتمع ومستلهمة ما يدور في الوسط العربي من آمال وآلام ، فكان صادق الإحساس؛ تتناسب موضوعاته مع المواقف، ومع الحالة النفسية للمجتمع ومع الصياغة ، فهو ينفعل ولا يفتعل، ويثور ولا يتكلف ، ويشارك ولا يملىء ويصدق ولا ينافق ، وتذوب ذاتيته في وجدات الجماعة وهذا هو الفارق في الاتجاه الوطني والاجتماعي بين أدب النفاق التجاري والأدب الجيد . وإذا كان تناول المناسبات أمرا غير يسير ، والولج فيه محفوف بالمخاطر ، وبالعودة لنهج المديح الفردي بما فيه من تقريرية ومباشرة ، وإذا كان « أخطر ما يتعرض له شعر المناسبات هو تناول الموضوع تناولا مباشرا . . لأن الشعر في مفهومه الحديث يتطلب تصويرا يدخل في باب الأسطورة التي تكسب الألفاظ والعبارات أقصى مالها من قدرة على بعث الصور ، فتبتعد عن مجال التجريد ، كما تبتعد عن السرد والتصريح ، ثم إن شعر المناسبات يتطلب ـ كذلك ـ أن تشف الأحداث الخاصة في التصوير عن مشاعر إنسانية خالدة تتراءى على أفق الموضوعات والأحداث الجارية . . . .) .[1]

ـ إذا كان الأمر كذلك فشعر خالد الفرج يكشف بقدر كبير عن المعنى الإنساني العام وعن الروح الإسلامية والعربية الخالصة ، ولم يجيء أفكارا منفصلة عن القالب الفني الجيد ، ولم يستعر وجدان الجماعة ليتخذه وسيلة ؛ وإنما كان الحاكم له هو المقياس الفني والصدق في امتزاج الذات بالجماعة وجودة الصياغة .

---

(١) هلال د . (محمد غنيمي) دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده ص ١٣٨ ـ القاهرة : مكتبة نهضة مصر .

وإذا كان أكثر الأدباء ممن يحصرون فكرة الدعوة العربية والوطنية في حدود ذكر الأحداث في أزمانها وأماكنها ؛ بحيث يتصورون أنه « ليس من الأدب القومي عندهم أن يصف الشاعر عواطفه الإنسانية أو يصف المحيط الأطلسي ، أو نهر دجلة أو مناظر لندن وباريس ، لأن هذه الأشياء لا تحمل اسم النيل ومصر والهرم . . . . . » (١) فتلك ـ في نظر العقاد ـ « فكرة خاطئة ناقصة تنفيها أمثلة العظماء من الشعراء في كل زمن ، وفي كل أمة . . . . . » (٢) .

ومن الواضح أن حقيقة الرؤى الوطنية والعربية ومبعثها أن يكون الشاعر إنسانا بما في ذلك من إدراك واع لقوميته وللإنسانية جمعاء ؛ فيحس بأحاسيس قومه ، ويعي أحوال الوجود الإنساني حوله ، وتكون (الطبيعة القومية) من وصف معاناة جماعته ، وأحداث عصرهم من لدن (قحطان) و (عدنان) كما تكون من الحديث عن زعماء آخرين ، ومواقف عالمية ؛ كحديثه عن (غاندي) و (بسمارك) حيث يمثلان زعامة قوية أو حديثه عن (موسوليني) و (هتلر) حيث يمثلان الطغيان ، وعن (تيتو) حيث الصلابة أمام الأعداء ، وعن (المحيط الهندي) وجبال (الهملايا) وتدمير (هيروشيما) ووحدة (كوريا) و (فيتنام) وغيرهما أو الحديث عن ميثاق (الأطلنطي) وميثاق السلام كما يكون الحديث عن نهر دجلة و (الفرات) و (النيل) وشواطيء (الخليج) ومناظر الطبيعة العربية ومآثر العرب ، فكل ذلك لايعد خروجا عن نطاق الفكرة العربية والوطنية . والطبيعة تعني الحياة والحركة العضوية بأكملها التي تسير في الكون ، وهي عملية تشمل الإنسان ؛ ولكنها لا تكترث بنزواته أو تأثراته .

وحديثه عن (بسمارك) زعيم الألمان الذي يعد بطلا مثاليا له مغزى في نفسه ؛ فلطالما أعجبته زعامة القادة من كل جنس ، وكم ود الشاعر أن يكون للأمة العربية زعيم على مثاله بعدما تفرقت وضعفت ، ومزق الاستعمار وحدتها ، وبدد شملها . وقصيدته التي تحدث في بعضها عن (بسمارك) بوصفه بطلا وقائدا هي خواطر يجاوب فيها الشاعر الكويتي (عبد اللطيف النصف)

---

(١) (٢) العقاد (عباس محمود) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ القاهرة سنة ١٩٧٣ ـ دار نهضة مصر

تتضمن ردا على قصيدة أرسلها (النصف)[1] له سنة ١٣٤٤ هـ بعنوان (جل الأسى) مطلعها[2]

جل الأسى ، واستحكمت حلقاته ... وهفت بلبي والحشا أناته

مزج فيها (النصف) بين خواطره عن الشاعر ، وقسوة الدهر على وطنه . وفيها إشادة بالروح الطيبة التي تمتع بها (خالد الفرج) واعتراف بأثره لا على الكويت حسب ؛ بل على أقطار الخليج جميعها . على نحو قوله :

أما الكويت فأنت بلبها الذي ... سحرت عقول أولى النهى نغماته

قسما بشعرك ، والقوافي حسر ... قسم امريء عرفت له كلماته

إن الكويت إليك (خالد) تشتكي ... ألم الفراق تمضها لوعاته

وتثور نفس (عبد اللطيف النصف) ويشتد أسفه على ذلك الشعب المضيعة حقوقه ؛ فيستنهض الهمم حتى يحقق للكويت ما تصبو إليه بعدما تنازع أهلها الشقاق والتفرق ، وعم الجهل والفساد وتخاذل الشعب وتردى في ظلام الجهل حتى إنه لفي حاجة لأمثال (روبسبير) يقوده إلى ثورة عارمة :-

أسفي .. وما يجدي عليه تأسفي ... شيئا ، ولو قرنت به حسناته !

أن لا أرى الشعب المضام بجنبه ... تفتر عن ثغر الردي ثوراته

من لي ب (روبيسبير) يذكى نارها ... حمراء تخفق فوقها راياته ؟

---

(١) شاعر خليجي من أبناء (الكويت) ١٣٣٣ - ١٣٩١ / ١٩٠٤ - ١٩٧١م حفظ قدرا من القرآن ، ثم التحق بالمدرسة المباركية سنة ١٩١٥ ، وبعد تخرجه منها نتقل إلى الأحساء ، وبقى فيها مدة أربع سنوات ، ثم عاد إلى الكويت ، وعمل سكرتيرا لأمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح .

وقال الشعر تعبيرا عن ذاته ، وعما تعانية أمته مثل قصيدته (صدى الفراق) :-

أرى ساعة التفريق والبين قد دنت ... فصبري وأنسي آذنا ببعاد

(واستصراخ الأموات) :

هذا الربيع وهذا الورد قد قدما ... فانهض نوافيهما يا صاح حقهما

كما قال محتفيا بالزعيم عبد الكريم الخطابي ، ومحييا عودة الزعيم طالب باشا النقيب للعراق بعد النفي ، ورائيا الشاعر العراقي (محمود شكري الألوسي) .

انظر : الزيد (خالد سعود) : أدباء الكويت في قرنين ١ / ٢٥٣ / ٢٦٤ - الكويت - ١٩٧٦ - الطبعة (٣) .

(٢) المصدر السابق نفسه ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦ . والقصيدة على (البحر الكامل) التام (متفاعلن) ٦ مرات ، وتقع في اثنين وأربعين بيتا .

فتخر لليوم الرهيب طغاته ... وتذيقهم ذيقاتها حياته
يوم يرد الحق نحو نصابه ... رغم الأنوف ، ويستعاد تراثه (١)

والحق أن استثارة (النصف) للجموع وتحميسها شيء طيب وجميل ؛ لكن لم الحرص على أمثال (روبيسبير)(٢) من الثائرين الذين يظهرون في أوقات الاضطرابات ، ويعملون على محاولة طمس أجمل المحاولات الطيبة في بحور الدم والوحل ، وشهوة الانتقام ؟ أليس في زعمائنا ومصلحينا ما يجب التأسي به ؟ .

ومع ذلك فقد رد (خالد الفرج) بقصيدة على البحر والقافية نفسيهما مطلعها :-

عادت إلى الأمل الضئيل حياته ... وتسارعت في قلبه دقاته

- فيها حديث عن روح الشاعر الكويتي (عبد اللطيف النصف) وأثره في نهضة الكويت ؛ ذلك البلد الذي أودى الشقاق والجهل بمصيره وبمستقبله .

(عبد اللطيف) . . . بك الفخار لموطن ... أخفت بمثلك ضعفه قواته
بشرى لقطر أنت من أبنائه ... بك في الورى تعلو له أصواته
فمن الذكا بك لاح غامض سره ... ومن النبوغ الفذ مكنوناته
لا تشتكي بؤس الكويت لبائس ... لولاك لم تبرح به لوعاته

أما حديثه عن نهضة الخليج بوجه عام والكويت خاصة فبالعلم - وهذه حقيقة ينبغي إدراكها - وبالحرية والخروج عن سيطرة الأجنبي .

والجهل آفة كل شعب في الورى ... كالقز تهلك نفسه حشراته
كيف السبيل إلى الرقي وأهله ... متخاذلون ! أباته وحماته
لا مجد إلا بالعلوم ونشرها ... في الشعب حتى ترتقي طبقاته
ما قام (روبيسبير) حتى هزه ... (فلتير) تذكي ناره نفحاته
وطني سويداء القلوب محله ... عندي وإنسان العيون (صفاته)
هل يرتقي والنابهون بأرضه ... أذنابه ، والخاملون أباته ؟
والأجنبي صديقه وحميمه ... جهلا ، ومن أعدائه جاراته

(١) المصدر السابق نفسه ص ٢٥٥ .

(٢) (روبيسبير) أحد الشخصيات التي عرفت إبان الثورة الفرنسة وكان له تأثير على جماهير الشعب الفرنسي ، وتسبب هو وزميله (مارا) في إعدام كثير من رجال الحكم في فرنسا إذ ذاك ، وانتهى أمرهما بالقتل ؛ قتل (مارا) سنة ١٧٩٣ ، وقتل (روبيسبير) سنة ١٧٩٤م .

انظر فانس : نظرية الأنواع الأدبية ترجمة د. حسن عون منشأة المعارف : الإسكندرية سنة ١٩٥٨م طبعة (١) .

ويلخص فكرته عن وحدة الخليج :

هل في الجزيرة غير شعب واحد ... قد مزقت بيد العدا وحداته ؟
من لي ب (بسمرك) يضم صفوفه ... وعليه تجمع نفسها أشتاته
فيعيد من هذي الممالك وحدة ... والعلم تخفق فوقها راياته (١)

وما قاله عن زعامة (المهاتما غاندي) سنة ١٩٩٢ في أصعب أيامه في جهاده ضد الاستعمار ، وعن (تيتو) وغيرهما هما مثال للصمود والتحدي ؛ تحدي القوى الكبرى بالتماسك والعزيمة فيعنو لأمره كل هام :

قطعة من نسيج قطن خام ... خشن حول هيكل من عظام
قام من بينها لسان ذليق ... عير مسترسل ولا تمتام
عيشه حفنة من العدس النا ... شف أو شخبة من الأغنام
يتحدى القوى الكبيرة بالرو ... ح فيعنو لأمره كل هام (٢)

حتى الحديث عن الحروب الكورية ، وما أثاره (ترومان) . . كل ذلك له مغزى هو تنبيه الغافلين ، واستنهاض الهمم العربية وبث روح الحماس فيها . و (خالد الفرج) رسم طريقا واضحة في هذا المجال مصدرها ذلك الإيمان العميق بنهضة الأمة ، وقدرة شبابها ، وثقته فيهم .

ويغلب على الظن أن الباعث على تبنيه لقضايا الأمة وإثارته الانتباه إليها ـ تلك الظواهر الاجتماعية ، والأحداث السياسية والفكرية والاقتصادية ، وما صاحبها من عوامل نفسية عايشها وانفعل بها وسط مجتمعه العربي .

إن هذا التفرد في شخصيته له من الدوافع الصادقة في الارتقاء بشعر المديح الفردي إلى نظرة عامة تتناول الأحداث ، وتنفعل بالمواقف العربية والإسلامية ، وهذا التغيير في الموضوعات التي تعبر عن الاتجاه القومي والإسلامي لا يعنى الابتعاد عن الامتداد مع نظام القصيدة التي تتحدث عن مناسبة ما ؛ فشعره يعطي انطباعا واضحا على أنه يتناول كبار الحوادث . وأغلب القصائد التي تشير إلى مناسبات تاريخية بذاتها إنما ترتبط بمدى تصوره للحمية الوطنية ، والنخوة العربية ،

(١) ديوان خالد الفرج ١ / ١١٧ ، خالد سعود الزيد : أدباء الكويت في قرنين ١/ ٢٥٥ ، ٢٥٦ والقصيدة ـ كذلك ـ على البحر الكامل التام وتقع في أربعة وأربعين بيتا .

(٢) خالد سعود الزيد : خالد الفرج حياته وآثاره ص٦٨ . والقصيدة من (البحر الخفيف) التام فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن مرتين .

والغيرة الإسلامية ، وأثر العنصر العربي في حمل الرسالة الإسلامية إلى الإنسانية . والاتجاه الوطني والقومي والديني في قصائد (الغرب والشرق) و (ميثاق الأطلنطي) و (أم القرى) و (وعد بلفور) و (اللاجئون) و (الهندنة) و (انعقاد الجامعة العربية) و (الاتحاد) و (الشيوعي) وغيرها (١)تأصيل للجهد العربي ، وحفز الهمم ، وإثارة الحماس إلى عزة عربية ونهضة إسلامية وصولا للمغزى الحقيقي من تراكمات التاريخ العربي والإسلامي . وقصائده الدينية لا تعني مجرد التذكر والتأريخ لمناسبات إسلامية كالهجرة والإسراء والمعراج وغيرهما ، ولا تهدف إلى مجرد مضمون الفكرة العربية التي تثير الانفعال والتعاطف مع رابطة العروبة ؛ ولكنها تهدف إلى تأصيل الاتجاه القومي في مؤزارة الصحوة الدينية والغيرة الإسلامية .

وهذا المنحى يختلف عما كان عليه شعراء سابقون آثروا المديح لأفراد بأشخاصهم أمثال (ابن المقرب)(٢) و (الطباطبائي) و (ابن عثيمين) و (أبو الصوفي) و (ابن رزيق) وغيرهم . فمدائحهم لا مناقضة لها من حيث كونها مدحا لأمير أو زعيم ، ولكن لأنها في أكثرها لا تدل على شخصية القائل ووجدانه الخاص دلالة قاطعة ، ولأن كثيرا ممن تناولوا المعاني التقليدية يتشابهون ، وقلما يمكن تمييز شاعر عن آخر إلا بمقدار ما يضيفه ويبدعه من عقد صلة بين النص وقائله .

وهذا الاتجاه الوطني والقومي دعوة لها أثر فيما صوره كثير من الشعراء من مواقف تمثل ميراثا عظيما للأمة ، ولما لها من مجد يدعو لاستجلاء تلك العظمة والكشف عنها على نحو ما ساد لدى شعراء عالميين أمثال (شكسبير) و (أناتول فرانس) و (برناردشو) فيما صوروا فيه أسلافهم الإغريق ، وما قالوه عن قدماء المصريين .

وتتمثل المشاعر الدينية والعربية والإنسانية في شعره على نحو واضح في دعوته لقيم التعاطف والبر والمساعدة والإيثار ، والتحلي بكريم السجايا ، والدعوة للعلم ، وإجلال شأن المرأة ، وهدم الحواجز النفسية التي تعيق التقدم . وتجلى المنحى الإسلامي والعربي بنظرته لمنطقة الخليج على أساس أنها أقرب إلى الميل العربي والإسلامي منها إلى النزعة الإقليمية الضيقة :

هل في الجزيرة غير شعب واحد ... قد مزقت بيد العدى وحداته ؟

(١) انظر ديوان خالد الفرج المجال السياسي والوطني ؛ وخالد سعود الزيد : خالد الفرج : حياته وآثاره ص٤١ ـ ٧٥ .

(٢) ابن مقرب العيوني (جمال الدين) ٥٧ ـ ٦٢٩هـ / ١١٧٦م ـ ١٢٣٥م) مدح أمراء الدولة العيونية والطباطباني (عبد الجليل بن السيد ياسين ١١٩٠ ـ ١٢٧١هـ / ١٧٧٥ ـ ١٨٥٣م) مدح أمير الدرعية وأشراف مكة ، وابن عثيمين (محمد ابن عبد الله ١٢٧٠ ـ ١٣٦٣هـ / ١٨٥٣ ـ ١٩٤٣م) مدح آل خليفة وآل ثاني وآل سعود ، وأبو الصوفي (سعيد بن مسلم ت ١٣٦٤هـ) ومدح آل بوسعيد وابن رزيق (حميد بن محمد ت ١٢٩١هـ) ومدح آل بوسعيد في عمان .

من لي ب (بسمرك) يضم صفوفه ... وعليه تجمع نفسها أشتاته ؟
فيعيد من هذي الممالك وحدة ... والعلم تخفق فوقها راياته
شعب بنو (قحطان) ركن أساسه ... وبنو (نزار) في العلى شرفاته
بدر له هالاته : أحقافه ... و (خليجه) و (فراته) و (سراته)
قد نظمت أقوامه وتكاتفت ... وتآزرت وثباته وثباته (١)

وهذا أمل بالعودة للروح العربية القائمة على مقومات من الإيمان والوحدة والعلم ؛ وهي روح ينبعث منها الأصالة والعمق ، كما أن فيه السهولة واليسر التي لا تترصد الفكر ولا تجهد النفس ؛ بل تتداعى المعاني تداعيا . ويجهر شعره بالروح العربية فيما يقرب من النزعة الخطابية فيها التسجيل الحي المؤثر لمشاهد الحياة في جوانبها المختلفة من وطنية عربية واجتماعية إسلامية . ولم يخضع (الفرج) لمذهب أو اتجاه فني محدد غير نهج القدماء يتبدى في شعره الذي يتناول المناسبات ، ويسترسل في تقصي الحقائق والخواطر للبعث والإحياء كما هو الشأن عند أبي مسلم الرواحي وصقر الشبيب وحجي قاسم الحجي وعبد الرحمن المعاودة وأحمد يوسف الجابر وهلال بن بدر وصقر القاسمي . وشعر هؤلاء يمثل المحافظة والعودة للروح القديمة بفكرة جديدة ؛ فهم يهتمون بالموضوع ويلحون على جوانبه الفكرية ، والأمور العقلية المحددة الواضحة التي لا تغرق في الخيال ، ولا تهتم بإبراز العواطف الذاتية قدر اهتمامها بإثارة (الوجدان الجمعي) لقضايا الأمة ، فعنصر الخيال والعاطفة بعيدان عن الإسراف محددان بحدود إثارة (الوجدان الجمعي) على نحو قول خالد الفرج :

أنا شاعر ، لكن ببؤس بلادي ... أفؤادكم ياقوم مثل فؤادي ؟
يا قوم .. هل من ناظر فأريه ما ... فيها ، وهل من سامع فأنادي ؟
زعماؤنا متخاذلون لجهلهم ... والكل للثاني من الأضداد
والعالمون حديثهم بعلومهم ... وصف المآكل من لذيذ الزاد
قد قاوموا روح الهدى بسلاحهم ... يرمون ذا الإصلاح بالإلحاد
صعدت إلى قمم الجبال جدودنا ... فعلام صرنا في حضيض الوادي
نمنا فقام الآخرون وأسسوا ... بالعلم مجداً شامخ الأطواد
يا قوم .. إن مرضت لكم أوطانكم ... كونوا من الآسين لا العوّاد
ومتى أتت فرص القيام فشمروا ... عن ساعد الإقدام باستعداد

(١) ديوان خالد الفرج : المجال السياسي : خالد سعود الزيد : خالد الفرج حياته وآثاره ص٨٩ - ٩٢ .

بالـعـلم نقـدر أن نعـيـد تراثـنـا حتـى نرى الأحـفـاد كالآجـداد (١)

من ثم نجـد شعر خالد وحركة البعث من زملائه يرتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بالقضايا الوطنية والفكرية والاجتماعية والعربية العامة في وقت كان ضغط النفوذ الأجنبي للاستعمار يمتد ويقسم الأمة ويوزعها منذ الحرب العالمية الأولى ، وحتى منتصف القرن الميلادي العشرين . والدعوة إلى بعث الحضارة العربية والإسلامية ، والأخذ بالتعليم والدعوة إلى التنوير والحيطة من الاستعمار كانت دعوة صادقة ، وأملا لاقى استجابة لدى الكثير من المفكرين وزعماء النهضة الحديثة .

وهذا الشعر دال على شخصية منشئة من خلال معانية وصياغته ؛ فهو شعر الفطنة الواعية والإحساس الدقيق بمعاناة الواقع العربي ، وهو شعر إنساني يعبر عن الإنسان في كل زمان ومكان بعيد عن جموح الخيال وشرود الفكر ، وهو ينفذ إلى العالم الواسع من نافذة الحياة التي تطل على أدق الصفات والخلجات في يقظة حادة لا يدركها النسيان ، أو تتسلل إليها الغفلة . وهو في كل شعره يمجـد العـروبة وأبطالها ، ويعظم شأن المسلمين . يقول محمد المسلم صاحب كتاب (ساحـل الذهب الأسود) : « . . . . . ولا ينكر أن لبعض الشخصيات التي استوطنت القطيف فترة طويلة من الزمن كالأستاذ خالد الفرج ـ دوراً كبيراً في نشاط الحركة الأدبية ، وأثراً في تطور الحياة الفكرية لدى أدباء الجيل الشبان » (٢)

والدعوة للوحدة العربية تنبثق من الدعوة الإسلامية بعد أن وحد الإسلام بين أقطارها ، ثم أتى عليهـا زمن من التشتت والتمـزق . وفي مقارنة مؤلمة بين ما أصبح عليه الغرب اليقظ المستنير ، ومابقى عليه الشرق العربي والإسلامي من غفلة وضعف . نجده يقول :ـ

الـغـرب قد شدد من هجـمـتـه والشرق لاهٍ بعـد في غفـلتـه
وكـلما جـد بأعـمالـه يسـتـسـلم الشرق إلى راحـتـه
فيـجـمـع الـغـربي وحـداتـه والشرق مقـسـوم على وحـدتـه
وذاك يبـني الـعـلم في بحـثـه وذا يضـيـع الـوقـت في نظرتـه
يسـتـجـمـع الـغـرب قواه لكـي يسـتـعـبـد الـعـالم في صولـتـه
فطـوق الأرض بقـضـبـانـه وقـرب الـنـائي بسـيـارتـه
طبـق سطح الـبـحـر أسـطولـه وامـتـلك الـقـعـر بغـواصـتـه

(١) خالد سعود الزيد : المرجع السابق ص٨٧ . وكانت القصيدة قد قيلت في مناسبة افتتاح النادي الأدبي ١٣٤٥هـ .

(٢) خالد سعود الزيد : أدباء الكويت في قرنين ١ / ٤٠ .

وذلل الريح بطيارهِ ... واستنزل الأعصم من قنته
وغاص في العمل وأسراره ... فاستخرج المكنون من علته
ولم تف الأرض بأطماعه ... حتى غزا الأفلاك في فكرته (١)

وما حديثه عن النهضة لدى الغربيين إلا حديث العارف المتتبع لحركة الحياة عندهم، والتي تبدو في وحدة اقتصادية واجتماعية وسياسية وعملية ؛ يبحثون ويفكرون ويستكشفون الآفاق للسيطرة عليها في البر والبحر والجو ، بينما الشرق العربي يدور في حلقة مفرغة فقد السيطرة على مصادر ثروته ، وكل رصيده مجد أجداده وأسلافه يتغنى به ، ولا يربط الأحداث بأسبابها ، ولا يتطلع للمستقبل إلا من خلال الترف واللهو ، والتمتع بالمعنى الأرضي ، لا يرى للكفاح طريقا يرتفع فيه فوق ملذاته ، وتمكين الأعداء منه : يقول :-

والشرق .. ويح الشرق من جهله ... وهي به الإحساس من علته
وإن دهاه الغرب في بأسه ... فللقضا التفريج من أزمته
يكلف الأقدار إسعاده ... ويحلم بالآمال في رقدته
كآكل الأفيون يسري به الس ... م ويسترسل في لذته
منقسم حتى على نفسه ... مشتت الأوصال في أسرته
هذي بلاد العرب ف ضعهفا ... لا يعطف الجار على جيرته
في كل شبر دولة تياجانها ... كصاحب التمثيل في جوقته
يلعب في تجيانها ضدها ... كلاعب الشطرنج في رقعته
وهذه الدولات مجموعها ... أحقر أن يعتد في كثرته
لكنها لو جمعت لقمة ... قد تتعب الماضغ في مضغته
يا قوم في أحوالنا عبرة ... فليقم النائم من رقدته (٢)

وما جاء في قصيدة (الغرب والشرق) يمثل مرحلة النضج والقوة والصدق والوضوح في رصد المناقضات ؛ يفسر الحياة والمواقف وينقدها ، يهدم قيمًا بالية ويرفع أخرى عظيمة ، ويؤصل في قيم تتجه نحو الخير والحق والفضائل . وإثارة الشعورة تأتي من تراسل الحواس واتصالها فيما بين الجماعة الشاعر ، فيثار شعور وطني فياض . وقد تلاقت في شعره الآمال التي يرقبها للخليج مع الآمال الكبار للأمة بوجه عام ، فكان الحرص على المقارنة بين الماضي البعيد في عظمته

(١) خالد سعود الزيد : خالد الفرج حياته وآثاره ص ٤١ .
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤١ - ٤٣ .

والحاضر في بأسه ومعاناته ، وبين استشراف المستقبل في أمانيه وآماله والخوف من الانهيار والضياع .

إلا أن صدى النبرة الخطابية التقريرية والتعبير المباشر طغى على الجودة الفنية وجمال الشكل . وهذا شأن كثير من الشعراء الذين يستلهمون (وجدان الجماعة) ، فقد ينصرفون للجماعة مباشرة ، ويخاطبونها خطابا تلقائيا لا غموض فيه ولا عمق ، بل سهوله ويسراً ، يستحثون الوجدان ويستلفتون النظر تجاه ما يأخذون فيه من قضايا ، وهذا عند (خالد الفرج) كما عند (هلال بن بدر البوسعيدي) و (أبو مسلم البهلاني) و (صقر الشبيب) و (عبد الرحمن المعاودة) و (أحمد يوسف الجابر) وغيرهم .

والتطلعات الوطنية والعربية لا تنتظم قطراً بعينه ولا إقليما منفردا ؛ ولكن تتراسل الأفكار وتنبسط لتشمل الأمة جمعاء ؛ فيكون حديثه عن قضية فلسطين وعن غيرها بقدر ما يكون حديثه عن قضايا منطقة الخليج على نحو قوله في قصيدته التي مطلعها :-

(بلفور) .. إن اليوم عيد ... فالبس له الثوب الجديد
هذي فلسطين الوديـ ... ـعة في مصائبها تميد
ما ينقضي زلزالها ... حتى تزلزل من جديد
آلامها مثل الكوا ... كب ذا يغيب وذا يعود
من قبل (وعدك) بالهنا ... عاش المسود والمسود
حتى جعلت (القدس) (با ... بل) في تكاثرها العديد
وعجلت قبل (الحشر) تجـ ... ـمعهم جميعا في صعيد
هل كان وعدك (منزلاً ... ب (الوحي) من (رب) حميد ؟
أم أنت تمثال الوفا ... ء فلا تحول ولا تحيد ؟

ثم يتوجه لأمته يشد من أزرها ، ويستنهض حماسها ، وينفخ فيها روحا من إحساسه لتتنبه وتستيقظ فيقول :-

يا قوم .. قد طلع النها ... ر وأنتم فيه رقود
قد بعتم الوطن المقد ... س للأعادي بازهيد
نمتم وما استيقظتم ... إلا بقرقعة القيود
يا قوم .. إن الاحتجا ... ج أو التظاهر لا يفيد
أصواتكم وسط الفضا ... ء إذا تلاشت لا تعود

والسـر في خفـق البرو ق ، وليس في قصف الرعود (١)

وتتجلى في شعره روح التعالي على الاستعمار ، ورفض نفوذه وبقائه وإملاء شروطه ، وتسري فيه مثلما يسري شعور عميق بالألم النفسي . ويرجع ذلك إلى أن الشاعر عانى هذه الأحداث وعايشها ، وأدرك ما يخبئه الدهر لهذه الأمة ؛ ولذا فقد افتقد الأمل في (الأمم المتحدة) ولجنة الهدنة وكل المؤتمرات التي همها تكريس التوطين والاستيلاء والتوسع :-

يا (مجلس الأمن) ، بل يا (هيئة الأمم) ماذا التلاعب بالألفاظ والكلم ؟
هل العدالة سلب المرء موطنه ؟ والأمن هل هو في التقتيل والنقم ؟
ويا (أطالس) هل في (أطلسيكم) حرية البغي ، أو حرية الحرم ؟
ما وعد (بلفور) إلا بدء سلسلة من المظالم في التاريخ كالظلم
مضت ثلاثون عاما وهو يلكؤهم كالأم تحضن طفلا غير منفطم
يا قوم من لم يدافع عن مواطنه فإنه مثل ما فيها النعم
ما في الصياح ولا الإضراب منفعة وليس ينفع إلا بطش منتقم
قالعدل والحق والإنصاف يوجدها من يحسن الفصل

بين السيف والقلم يا قوم ساعتنا العظمى لقد أزفت
وليس غير امتشاق الصارم الخذم فكونوا وحدة منكم مؤيدة
بكل (مقتدر بالله) (معتصم)(٢)

وتلك الدعوة القومية الوحدوية ينادي بها منذ بداية الربع الثاني من القرن الميلادي العشرين سنة (١٩٢٧م) وهي دعوة تقوم على أسس من العلم والتقدم وقوة العقيدة وإعداد العدة وحمل السلام . وظهر ذلك في قصائد شتى كقصيدته (لوزان) و (ياقوم) و (نحالين) و (الأمر الواقع) و (أبو الهول) و (اللاشي)(٣)ولعل قصيدته (إلى الجامعة العربية) تعطي شاهداً على مدى قصور الأمة وتعلقها بحبال الوهم وتشتت آمالها وضعف آرائها ، وهنا يسخر من (الجامعة العربية) التي لا تقدم شيئا له قيمة :-

---

(١) المصدرالسابق نفسه ص ٤٧ ـ ٥٠ والقصيدة على مجزوء الكامل (متفاعلن) ٤ مرات وتقع في خمسين بيتا .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤٩ ـ ٥٠ والقصيدة على (البحر البسيط) مستفعلن فاعلن ٤ مرات) وتقع في سبع وعشرين بيتا .

(٣) المصدر السابق نفسه صفحات ٥١ ـ ٥٨ .

عقدت اجتماعك يا (جامعة) فهل أنت مبصرة سامعة ؟
سئمنا الكلام فهل من فعال فإن الأعادي بنا طامعة
كفانا خنوع وها أنتم ملايين في رقعة واسعة
كثيرون في قلة من خلال غنيون في أنفس قانعة
قصارى السياسي في سعيه إذا فاز بـ (النقطة الرابعة)
فيارب رحماك أنقذ حماك وخذ بيدي أمة ضائعة(١)

و (النونية) التي مطلعها :ـ

ياليت شعري هل العربان وقد رأت ذلهم والخزى (لوزان) ؟(٢)

فعلى وجازتها وقصرها تعد من أجل قصائده إثارة لوجدان الجماعة وانفعالا قوميا واستنهاضا . وقد غلفها بأسلوب ساخر حزين ، فهي نفثة مصدور ، وأنة مكلوم تصاعدت زفراتها إبان حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ م عندما انعقدت (لجنة الهدنة) في (لوزان) برئاسة وزير خارجية تركيا (يلجان) . وفيها تنبيه لذوي البصائر لما يدبر للأمة :ـ

واسواتاه وللتاريخ عبرته إن الرئيس على المأساة (يلجان)
يوم (الأصم) بها يملي إرادته كما يشاء ، فتصغى ثم آذان
ياليت أني بين القوم أنشدهم (لكل شيء إذا ما تم نقصان) !
فما (فلسطين) إلا مثل (أندلس) قضى على أهلها بغي وعدوان
لم الذهاب إلى (لوزان) في ضعةٍ ألاعتراف ؟ فليت القوم ما كانوا

وفي النص دلالة على أنه لا فائدة من هذا الاجتماع سوى الإذعان والخضوع فما بقى شيء تعلق عليه آمال الأمة العربية .

لم يبق شيء ل (لوزان) نفوز به إلا خنوع وإذعان وخسران
قد سلموا قبل (لوزان) بلادهم فأقفرت منهم دور وأوطان
وهل يفوز بشيء أعزل دنف سلاحه اليوم آهات وأحزان ؟
وهل ترجون حقا لا يؤيده من المدافع والنيران برهان ؟

(١) المصدر السابق نفسه ص ٥٩ والقصيدة من (البحر المتقارب) فعولن ٨ مرات .

(٢) المصدر السابق نفسه ٥١ والقصيدة على (البحر البسيط) . ولوزان في سويسرا عقدت فيها لجنة الهندنة . وكان رئيسها (يلجان) وزير خارجية تركيا وهو يهودي الأصل ، ورأس الوفد التركي عصمت اينونو ، وهو المعني بقوله (يوم الأصم بها يملي إرادته) .

وهـذه القصيـدة مستوحاة من قصيدة (أبي البقاء الرندي)[1] التي أنشدها في رثاء دولة الأندلس مستنصرا فيها أهل العدوة الإفريقية ليدافعوا عن الإسلام ، ويقفوا مع دولة الأندلس حين أراد سلطان غرناطة (محمد الغالب بن يوسف بن الأحمر) التنازل للأسبان عن عدد من القـلاع أمـلا في أن يدوم حكمـه على غرنـاطة وكانت عدة مدن قد سقطت منها (شاطبة) و (أشبيلية) فقال :-

لكـل شيء إذا ما تم نقـصـان ... فلا يغـر بطيـب الـعـيش إنـسـان

وفيها يقول :-

دهـي الجـزيـرة أمـر لا عزاء له ... هوى له أحـد وانهد ثهـلان
تلك المـصيبـة أنـست ما تقـدمهـا ... ومـا لها مع طول الـدهـر نسـيـان
ياراكـبـين عتـاق الخيـل ضامـرة ... كأنها في مجال الـسـبـق عقـبـان
أعنـدكم نبـأ من أهـل (أنـدلس)؟ ... فقـد سرى بحـديث القـوم ركبـان[2]

وكانت (نونية) أبي الفتح البستي (٣٣٠ - ٤٠٠هـ) في الحكم فاتحة للرندي كما كانت فاتحة لخالد الفرج وقبل خالد للشاعر الخليجي (أبي مسلم البهلاني الرواحي العماني ت ٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) في (نونيته) التي مطلعها :-

تلك الـبـوارق حاديهـن (مرنـان) ... فما لطرفـك يا ذا الـشـجـو وسنـان ؟

وهذه (النونية) في استنهاض همم أبناء الخليج عامة وبني عمان خاصة أيام أن عقدت البيعة للإمام (سالم بن راشد الخروصي) الذي تولى إمامة عمان من (١٩١٣ - ١٩٢٠م) . وطال فيها نفس الشاعر العماني حتى وصلت ثلاثمائة وثلاثة وثمانين بيتا بقوله :

لا يصـدق الـدين إلا من يـنـاصحـه ... ولا يتـم بغـير الـنـصـح إيـمان

---

(١) أبو البقاء صالح بن شريف الرندي الأندلسي من أهل رنده في الجزيرة الخضراء بين مالقه وشريش . وكانت صلات له ببني الأحمر في غرناطة وتوفى سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م .

(٢) انظر المقري : نفح الطيب ٦ : ٢٣٢ - ٢٤٣ والقصيدة على البحر البسيط ، وتبلغ ثلاثة وأربعين بيتا . وكان الرندي قد تأثر فيها بقصيدة (أبي الفتح البستي ٣٢٠ - ٤٠٠هـ) في الحكم التي مطلعها :

زيـادة المـرء في دنـيـاه نقـصـان ... وربـحـه غير محض الخـير خسران

وهي في عيون الحكم شرحها حسين عوني العربكري التركي وطبعها سنة ١٣١٢هـ وضبطها وعلق عليها عبد الفتاح أبو غدة مكتبة المطبوعات الإسلامية - بيروت د . ت .

فإن تمكن نصحي من بصائركم بدا لكم من ضياء الحق فرقان[1]

وكان (شوقي ١٨٦٩ ـ ١٩٣٢) قد استلهم كذلك ـ إطار (النونية) فقال في مأساة دمشق على يد فرنسا :

قم ناج (جلق) وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداث وأزمان[2]

وخالد الفرج يصور حال اللاجئين الذين خلفته مأساة فلسطين في قوله :ـ

اللاجئون من الرمضا إلى النار عار عليكم جميعا أيما عار
تركتموهم وقد غررتم بهم مشردين بلا مال ولا دار
لو أنهم في يد الأعدا لما تركوا كما ترون بأسمال وأطمار
الجوع يفتك والأمراض سارية وكم رأى الليل من ضارومن عار[3]

ولمثل هذا (الاتجاه الوجداني القومي) جاءت قصائد (خالد الفرج) تعبر في صدق وإيمان عن مدى تعشقه للروح العربية الأصيلة ليس في الاتجاه الوطني والقومي والديني حسب ؛ بل كذلك في (المضمون الاجتماعي) وفي شعر الرثاء وفي شعر (الوجدان الذاتي) في تأمله واستغراقه الحزين .

فكثيرا ما كان يرقب حركة مجتمع الخليج وقد تزاحم على لقمة العيش أو البحث عن قطره ماء قبل أن يكتشف البترول وتنعم المنطقة بخيراته . وكانت السفن تنقل الماء العذب من (شط العرب) إلى (الكويت) فتتصارع عليه الجموع المحتشدة وتتزاحم . وهذا أمر طبيعي لمنطقة تفتقر للماء وللخضرة في صحارى ممتدة بالكويت كثيرا ما كانت تؤلم (خالد الفرج) أن يسعى محتاج لشربة ماء لا يحصل عليها . وهو يتحسر على مجتمع الخليج الذي يفتقر إلى التواؤم والتعاون ، وبينهم قوم جياع وآخرون يكنزون مالا جماً ، فيقول مستوحيا إطار أبيات (قطري بن الفجاءة)[4] :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال : ويحك . . لا تراعي

(١) ديوان أبي مسلم (ناصر بن سالم عديم الرواحي العماني) ص٣١ ـ ٤٤ ـ القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ ـ مكتبة إمامة عمان الزمالك .

(٢) الشوقيات جـ٢ ص١٠٠-١٠٣

(٣) خالد سعود الزيد : مرجع سابق ص ٥١

(٤) أبو نعامة قطري بن الفجاءة بن مازن بن يزيد . . بن حرقوص شب فارسا شجاعا ، والى بني أمية فترة ، ثم تابع الأزارقة أتباع ابن الأزرق وتوفي سنة ٧٨هـ / ٦٩٧م ، وأبياته جاءت خطابا ذاتيا لنفسه معاتبا لها .
انظر : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ٣ / ٢٦٤ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ١/ ٨٣ ، كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربي ١/ ٥٨ ، المبرد : الكامل ٢١٤ .

فقـال :

تصـور فدفـدا لا شيء فيـه ... سوى رمـل له وطء السـباع
ولا ماء لدى الـرمـضـاء إلا ... عليـهـا الـرمـل ناف بألـف باع
ولا شجـر لدى الـصـحـراء إلا ... هشـيـم جاء من أقـصـى الـبـقـاع
فذاك هو (الـكـويـت) وسـاكـنـوه ... إذا دهمـوا ب (بوم) غير ساع
ولا تتـصـورن (الـبـوم) طيرا ... فما هو غير فلك ذي شراع
يجوب الـبـحـر ساعـات طوالا ... يقـل المـاء للبـلد المـضـاع
أعـرني سمـعـك الـواعـي فإني ... لمحـتـاج لسـمـع منـك واع
أقص عليـك ما أضـنـى فؤادي ... وكـلَّ عن الـقـيـام به يراعـي

ثم يلتفت لقومه في دعوة للتآلف والتعاون فقال :-

بني وطـني . . ألا انـتـبـهـوا وهـبـوا ... وشـدوا أمـركـم بالاجـتـماع
أتـبـقـون الـكـنـوز لنـا هبـيـهـا ... وتـبـنـون المـبـاني للتـداعـي ؟
وأمـكـم (الـكـويـت) تئـن عطشى ... آلا فلتـنـع عقـلكـم الـنـواعـي
فهـبـوا واجـمـعـوا ما فيـه نفـع ... (فما نيـل الخـلود بمـسـتـطاع)(١)

وتعد (العينينة) ذات مغزى اجتماعي في الخليج ؛ فنقص المياه يخلق إحساسا خاصا فيه صدق معبر عن واقع أليم يهز المشاعر ويوقظ الضمائر (راجع عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت ٤٣٣ وعواطف الصباح: الشعر الكويتي الحديث ١٠٢ .

ومراثي (خالد الفرج) تنبع من صفاء نفس ووفاء وجدان لهؤلاء الذين كانوا لهم أثر ديني وفكري ، فكما رثى صديقه الشاعر (عبد اللطيف الخلف)(٢) عالم الكويت وأديبها بقصيدة تقطر أسى ولوعة جاء فيها :-

كـفـنـوه بـجـفـونـي ... واغـسـلـوه بـدمـوعـي
واحـمـلـوه بـوقـار ... وضـعـوه بـخـشـوع
. . . .

---

(١) خالد سعود الزيد : مصدر سابق ٩٥ - ٩٦ .

(٢) عبد الله بن خلف الدحيان (١٢٩٢ - ١٣٢٤٩م) عالم الكويت وشاعرها الذي تجمع على حبه الناس .
انظر : خالد سعود الزيد : أدباء الكويت في قرنين ١/ ٦٥ - ٨١ .

فهو شيخ العلم والأعمال في طهر الرضيع
وهو إيثار وزهد في خشوع وخضوع
كان بدرا فتوارى اليوم من غير طلوع(١)

ونجده يرثي زعيم البحرين المجاهد الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني(٢) الذي وقف ضد الاستعمار الإنجليزي في البحرين فقال فيه :

بطل الجهاد ضحية الأوطان لك فيالشهادة رتبةالرضوان
إن مت مبتعداً فذكرك خالد متجدد بتجدد الأزمان
خفقت لنعيك في (أوال) ضمائر فوق الخدود أسلن دمعا قانيا (٣)

ومن أجلّ مراثيه قصيدته في (أمين الرافعي)(٤) الذي كان له أثر على منطقة الخليج ، وهي (بائية) طويلة يرثى فيها مصر والعالم العربي ؛ بل الشرق كله في هذا المصاب :ـل

بين السيف والقلم يا قوم ساعتنا العظمى لقد أزفت
وليس غير امتشاق الصارم الخذم فكونوا وحدة منكم مؤيدة
بكل (مقتدر بالله) (معتصم)(٥)

وهو لا يرثي فيه رجولته وإنسانيته وخلقه حسب ؛ بل يرثي فيه ـ كذلك ـ علما وفضلا وثقافة وجهاداً فهو بطل ممن أنجبه (الشرق) الذي طالما أخرج أفذاذا .

هذه (مصر) رماها دهرها برصاصات المنايا فأصابا
ثكلت بالأمس (سعداً) بدرها فادلهمت ظلمة والبدر غابا
كلما لاح المنى فابتسمت كشر الدهر لها بالموت نابا

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٠١ والقصيدة على (مجزوء الرمل) فاعلاتن ٤ مرات وتقع في أربعة وعشرين بيتا

(٢) كان الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني زعيما لأهل البحرين ومجاهدا ضد الإنجليز نفي إلى بومباي بالهند ومات هناك سنة ١٣٤٣هـ .

(٣) المصدر السابق نفسه ص ١٠١ . والقصيدة من البحر الكامل التام متفاعلن ٦ مرات وتقع في خمسة وعشرين بيتا . وفي البيت الأخير لحن في (قاني) وصحتها قانيا .

(٤) كان أمين الرافعي مدافعا عن حقوق أهل الخليج ضد الاستعمار . وأفسح مكانة لنشر فظائع الإنجليز في الخليج والبحرين خاصة ، وتوفي سنة ١٣٤٦هـ .

(٥) المصدر السابق نفسه ص ١٠٣ ـ ١٠٦ والقصيدة على البحر الرمل التام فاعلاتن ٦ مرات وتقع في خمسة وستين بيتا

أي نعي حمل البرق لنا ... أشعل الإحساس حزنا واضطرابا
شيعت (مصر) (أمينا) مخلصا ... قط ما ساوم في الحق وحابى
أنجبته (مصر) لكن له ... في قلوب العرب أجداثاً رحابا

وفي القصيدة ثناء على قيمة (صحيفة الأخبار) وما قام به (أمين الرافعي) من خدمة للإسلام جرت عليه الآلام :-

لو درى (كامل) عن مقدمه ... لنضى الأجفان عنه والترابا
شاكرا إحياءه مبدأه ... بعد أن أصبح في مصر شعابا

ومع أنها قصيدة رثاء ؛ لكنه لم يدع الفرصة إلا وتحدث عن نهضة (الشرق) وأهاب به أن يتحد أمام ظلم الغرب فقال :-

يا بني (التاميز) إنا أمة ... حرة توسع للضيف الجنابا
هم أروه العسف ألوانا فما ... لان مما ناله ظلما وهابا
فثوى في السجن مختارا له ... عن زمان قدموا فيه الذنابي
واذكر (الأخبار) نبراس الهدى ... حين تنقض على الظلم شهابا
خدم الإسلام والشرق بها ... خدماً جلّى أتاهن احتسابا
أرجفت من (مصر) في تقريعها ... (طاغي البحرين) نقدا وحسابا
يا (أمين الشرق) ودعت فهل ... بعدك استخلفت للمظلوم بابا
سوف نبقي كما علمتنا ... لحقوق (الشرق) لا نألو طلابا (١)

وفي ذلك إحساس مفعم بالمشاركة الوجدانية بين المرثي وما يتصل به، وما يحيا حوله من آثار إنسانية وقومية وثقافية . ولاشك أن أجل الرثاء هو ما يبرز أفضل ما في المرثي من خلال حاول (خالد الفرج) أن يخلدها في شعره ، وتلك إشارة صحيحة تظهر أهم ما كان يتمتع به (أمين الرافعي) من مواقف عظيمة تجاه الاستعمار . وقد اتسع مجال القول أمام الشاعر لتصوير مآثر (الرافعي) وأمجاده وأعماله . والرثاء ثم ناشيء عن الوفاء لا عن رجاء والوفاء أعظم من الرجاء .

---

(١) المصدر السابق نفسه ٦٤ - ٦٥ . وطاغي البحرين هو الميجر ديلي المسؤول الانجليزي .

التشكيل الفني وجمال الأداء :ـ

لا شك أن تجلية الجوانب الفنية والنهوض بها يعتمد على إدراك (عنصر الصياغة والصورة الأدائية) بما تتضمنه من شكل جمالي تعزى فيه المزية للنظم في ترتيب الأفكار في الذهن ثم ترتيبها في النطق . كما يرد الحسن للألفاظ بما فيها من إيحاء وتصوير نتيجة توظيف (عنصر الخيال) ولطالما نظر للصياغة في مدى علاقتها بالفكر .

والنظر للموضوعات قومية أم اجتماعية في إطار اتساقها مع الشكل أو انفصالها عنه ، ومدى علاقتهما ببعضهما ـ أمر ضروري للكشف عما يكون لعنصر الصياغة من قيمة ، فهل كان شعرة مجرد قالب تصاغ فيه الأفكار ؟ أم أن ثمة صلة بين العنصرين ؟

أما من حيث الاتجاه الفني الذي سار عليه فيغلب على شعره الميل إلى الاتجاه التقليدي ، وإن جدد في أفكاره ومضامينه فجاءت موضوعاته معبرة عن الواقع . فهو شاعر محافظ في روحه إلا إنه يستوحي كل مشاعره وأحواله من ظروف العصر الذي يعيشه ، ويعتز فيه بتراث قومه في موازنة بين عصور الازدهار وفترات الضعف التي مرت بها الأمة . فمال للنزعة الوجدانية ذات الطابع الجماعي وهذا ما دعاه لنظم كبار الحوادث التاريخية (١) ولكتابة الشعر النبطي وبعض المقالات في اللغة ؛ فضلا عن تجربته الوحيدة في مجال القصة القصيرة بقصة (منيرة) التي كتبها سنة ١٩٢٨ و التي تمثل ما يسود بعض البيئات من الخرافة والجهل اللذين يسيطران على فكر امرأة شابة شغلت حياتها قضية الإنجاب ، فتوسلت بمدعي الصلاح والتقوى ، وعكفت على آمال

---

(١) مثل مطولته (أحسن القصص) في سيرة الملك عبد العزيز آل سعود التي بدأها بديباجة طويلة مطلعها :ـ

هو ذا الدهر أكبر الأسفار ... فيه أسمى العظات والاعتبار

وكان قد كتب ملمحمتين في سيرة الملك عبد العزيز إحدهما (بائية) وتقع في خمسمائة بيت :ـ

إلى مجدك العلياء تعزى وتنسب ... وفي ذكرك التاريخ يملي ويكتب

و (اللامية) التي أطلق عليها (الذهبية)

بالحمد والتكبير والتهليل ... شيدت دعائم فخر هذا الجيل

انظر ديوان خالد الفرج ص ٩٥ .

كذاب حتى انتهى أمرها إلى ضياع الزوج منها وتبدد الأموال فلم تجد أمامها إلا البحر تسلم نفسها إليه لتختم مأساة جهلها ومعاناتها (١)

وفي المدائح التي اتجه بها للأمراء فإن الروح الدينية تشيع فيها كما تشيع في قصائد المراثي ، وتعد حروب الأمراء والملوك خاصة (عبد العريز آل سعود)(٢) بمثابة (فتوحات إسلامية)(٣) كما يعد شعره القومي مدائح جماعية ، ودعوات دينية للتآلف والتوحد والإصلاح والتهذيب والتربية في ظل المد الإسلامي في وقت اشتدت فيه وطأة الاستعمار على منطقة الخليج . وكان (خالد الفرج) مع مجموعة من معاصرية رواد الاتجاه القومي والديني . وتبني ذلك بفضل نشأته وثقافته وإدراكه لأهداف الاستعمار في التقسيم والتجزئة . ولم يكن شعره بعيدا عن الذاتية ، فكما أن (الوجدان الذاتي) هو الرصيد الحقيقي للإبداع ولظهور العبقرية المتميزة بمنأى عن التقليد ، فإن إثبات تلك (الذاتية) كان ممتزجا بالشخصية العربية ، وظهور (الوجدان الجمعي) ومن ثم

---

(١) قصة منيرة تمثل الواقع في توازناته ، كما تمثل العادات والتقاليد التي تسيطر على بعض ذوي الغفلة ، فمنيرة تمتعت بجمال آسر مع جهل منفر وقلب ساذج وفكر تملؤه الخرافات والضلالات والأساطير ، تسيطر عليها حكايات الجان والزار والتمائم والرقي ، فتنشغل بكسوة الشيخ مرزوق وبعلم الشيخ محبوب وهي مهتمة بحفلات الزار تؤمن بالحظ والنصيب كنصيبها في ابن عمها (عبد القادر) الزوج الطيب تزوجته على الرغم منها فانقاذ لجمالها وتحولت حياتها لألفة ووجد . ومضت عليها ست سنوات دون إنجاب وبحثت دون جدوى فلاحقتها هواجس قضية الإنجاب وهي من أخطر ما يسيطر على فكر امرأة في بيئة عربية خاصة وقد أنجبت أختها التي تزوجت بعدها .

وحاول عبد القادر أن يملأ قلبها بالأمل دون التطلع للمشايخ والجري وراء الشيخة أم صالح ، لكن دون جدوى وتحولت الألفة إلى شقاق بعد أن منع الشيخة من الحضور ومنعها الذهاب إليها . واقتنع بأن الإنجاب من امرأة جاهلة هو وبال ، وفكر في الزواج عليها . وتزداد آلام منيرة فتمرض وتسيطر عليها عملية الإنجاب بشكل مدمر فعاودت الاتصال بالشيخة أم صالح وتوسلت إليها الاتصال بالشيخ معروف ليفك عقدتها . واتفقتا على الذهاب ليلا بعد أن أخذت حقيبة ذهبها وجواهرها . وعلى بعد في المكان ومقاساة للأهوال التقت بدراويش الشيخ فطمأنها أحدهم بأن الشيخ يبشرها بتوأم أحدهما تسميه (معروفا) والثاني (جنيداً) ، ثم اصطحبها درويش آخر إلى كوخ مظلم لتتطهر وتنتظر الشيخ ، وتركت الحقيبة مع الشيخة أم صالح ويفاجئها طلوع النهار على هذه الحال وتتلفت فلا ترى الشيخة ولا جاء الشيخ فأدركت أنها لن تستطيع مواجهة (عبد القادر) بعد أن ضاع مصاغها وتبدد أمل الانجاب فألقت بنفسها في الخليج لتتقاذفها الأمواج .

وقد تم نشرها في مجلة الكويت لصاحبها (عبد العزيز الرشيد) في العددين ٦ ، ٧ من المجلد الثاني لسنة ١٩٤٨ / ١٩٢٩م .

انظر خالد سعو الزيد : خالد الفرج حياته وآثاره ص ١٩١ ـ ١٩٧ .

(٢) عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن ولد سنة ١٢٩٧هـ وملك في شوال سنة ١٣١٩هـ وتوفى سنة ١٣٧٣هـ .

(٣) الرومي د . (نورية صالح) : الحركة الشعرية في الخليج العربي ١٧ ـ الكويت ـ شركة المطبعة العصرية .

فإن التأمل النفسي جعل من تجاربه دفقات تمر من خلال نفسه فتثير في قارئه عواطف ومشاعر ذاتية هي نفسها ما يثار داخل نفوس الآخرين فكانت ذاته محورا للحقائق وللتأمل النفسي لحظة الشعور بالفناء :-

ليت شعري أهكذا أنا أبقى ... مثل رسمي ممتعا بشبابي ؟
في ربيع العشرين أرقب آمالي ... بقلب إلى لقاهن صابي
أم سأفنى من الوجود وأبقى ... ثاويا بين جندل وتراب ؟
إنما هذه الحياة أمان ... كاذبات والسؤال حسن المآب (١)

من ثم يتضح أن تناول القضايا الموضوعية والحقائق التاريخية لم يكن بمعزل عن تسليط الأحاسيس الذاتية والمشاعر الإنسانية ، فالعالم الخارجي صار حالة نفسية ووجدانا مستغرقا مستبطناً ، فلا ابتعاد عن الذات ، ولا مجافاة لها ، أو إلغاء لكيانها (٢) ؛ فذاته تمثلت أجل تمثيل في انصهارها بوجدان الجماعة ، وفي التأملات التي توحد فيها مع (الموقف) ، واندمج في رؤى نفسية مع الإيقاع والوزن والقافية في نشوة طروب تربطه بالطبيعة فتظهر الصورة وقد انتظمها خط لا نهائي من الأمل ، وخيط (رومانسي) رفيع :-

قم فقد لاحت تباشير الصباح ... كبياض العين في كحل العيون
واعتلى الديك جداراً ثم صاح ... قائلا هل يستفيق النائمون ؟
وترى الطفل على ثغر الأقاح ... دمعة الأفراح في سحر العيون
هل رأيت السر إذا أخفى الملاح ... هي شمس اليوم في الغيم الهتون؟(٣)

وفي مثل قوله مخاطبا فتاته في الاتجاه نفسه ومسترجعا ذكريات الماضي :

اصبري .. ريثما يسري نسيم السحر
وانظري .. في أفق الليل شعاع القمر
ومتى هب النسيم وتهادى كالسقيم

---

(١) خالد سعود الزيد : أدباء الكويت في قرنين ١ / ١٦١ .

(٢) انظر الدكتورة عواطف الصباح : الشعر الكويتي الحديث ٢٦١ ـ الكويت سنة ١٩٧٣ ـ الطبعة الأولى ، الدكتورة نورية صالح الرومي ، االحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور ٧١ ـ الكويت ـ شركة المطبعة العصرية ومكتباتها

(٣) عبد الله بن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٧٢ . والقصيدة بعنوان (ثم ماذا) وهي على (البحر الرمل) فاعلاتن ٦ مرات ، والعروض والضرب محذوفتان .

فاذهبي مسرعة نحو أدواح النعيم
تجديني حيث كنا نرشف الحب القديم (١)

غير أن شعر (خالد الفرج) لم يأت كله بمستوى واحد في دقة الصياغة وجمال الأداء ؛ فمن الواضح أن مراحل النضج الفني تجعل للتفاوت في الصياغة مجالا ، على الرغم من أن القيمة الموضوعية والتاريخية أكسبت شعره أهمية أخرى ؛ فالملاحظ أنه بدأ يقول الشعر وسنه لم تتجاوز العشرين . وتعد (ميميته) في (المهاتما غاندي)(٢) من أوائل قصائده . وشعر البداية كان في فترة الاغتراب بالهند (١٣٦٦ - ١٣٤١هـ / ١٩١٧ - ١٩٢٢م) وهي حياة قصيرة تمثل فيها شعر الغربة الذي كان مجرد محاولات لتحسس الطريق ، وتلمس المنهج إلى الجودة بإثارته لموضوعات تواكب الأحداث المعاصرة ، غير أن الصورة الأدائية كانت ماتزال تقليدية بشيوع الطابع التعليمي والنزعة الخطابية المباشرة ، وعرض القضايا في إجمال وسطحية دون تعمق الداخل ومع قصر نفسه في فترة البداية إلا أن قصائده تتمتع بوحدة موضوعية ونغمية ، واستأثر (الخليج) بقدر كبير منها مثل قصيدته في زعيم الهند .

وما إن عاد إلى البحرين حتى أخذت تجاربه في الصقل والتهذيب والرصانة في فترة الشباب (١٣٤١ - ١٣٤٥هـ / ١٩٢٢ - ١٩٢٦) تداخلتها اتجاهات متنوعة ؛ تخلص فيها أو كاد من النزعة الخطابية والتعليمية ، كقصيدته في الاحتفاء بمقدم الزعيم التونسي (الثعالبي) (٣) وفي تكريم (شوقي)(٤) بإمارة الشعر ، وفي افتتاح (نادي البحرين الأدبي) (٥) وصدور (ميثاق السلام)(٦) وفي رثاء زعيم البحرين الشيخ (عبد الوهاب بن حجي الزياني) (٧) وقصائده الدينية (الله ربي) و (الإسراء والمعراج) وغيرها .

وفي المرحلة الأخيرة وهي مرحلة تمام الجودة الفنية فيما تبقى له من حياته والتي امتدت لأكثر من ربع قرن أتيح له فيها التجويد والأصالة والاقتراب من الحدث ومعايشته . وقد مزج فيها بين

(١) المصدرالسابق نفسه ص ٧٥ ، والنص على (البحر الرمل) التام والمجزوء .
(٢) المهاتما غاندي زعيم الهند (١٨٦٩ - ١٩٤٨) . أثار خالد الفرج بكفاحه سنة ١٩٢٢م .
(٣) قيلت سنة ١٣٤٣ هـ
(٤) قيلت سنة ١٩٢٧ م
(٥) قيلت سنة ١٣٤٥ هـ
(٦) قيلت عقب توقيع ميثاق السلام في باريس يوليو سنة ١٩٢٨ م
(٧) قيلت سنة ١٣٤٣ هـ

الأسلوب القصصي واستلهام الأمجاد التاريخية ، وبين النزعة الذاتية فجمعت؛ قصائده بين وحدة الموضوع ووحدة الترابط الشعوري ، وحلق في بعضها في الأفق الرومانسي ؛ إلا أن تناوله للقضايا كان ما يزال محدودا في إطار الصفة العامة والمغزى الأخلاقي والاجتماعي والقومي ، ومنها قصائده في رثاء أمين الرافعي(١) و (طالب رجب النقيب) (٢)الزعيم العراقي ورثاء الملك (عبد العزيز آل سعود)(٣)وقصائده في مأساة فلسطين و (لجنة الهدنة)(٤)و (الشرق والغرب)(٥)و (ميثاق الأطلنطي)(٦) و (تيتو) (٧)و (الرجاء بعد اليأس) . وهكذا تعمقت تجربيته وتنامت عبقريته من خلال المراحل التي مر بها شعره .

خصائص الصياغة :ـ

تتجلى خصائص الصياغة من خلال تلك المراحل : فنزع للاتجاه الوجداني البشري ، وهو اتجاه لا يدرك نواقص الحياة ، وحتى معاني الحياة إلا من خلال الصدام المؤلم الذي تولد عن إحساس نفسي يتكون في الوجدان عن قيم ثابتة ؛ فهو إحساس واع ومعرفة انتهى إليها بعد التحليل صور فيه نفسه كما صور مجتمعه .

ومن الطبيعي أنه في وقت المحن والشدائد يشيع أدب الاستنهاض والروح القومية معبرا عن دواعي الألم والأسى والضيق ، ويتحدث عن الطموح والسمو والاعتداد بالذات القومية ليحدث واقعا جديدا ؛ فهو أدب ينفعل بالحدث والواقع ، ويعبر عنه وينقده . وشأن الأدب الجيد الازدهار وقت المحن وأيام الشدة ، وتبرز عظمته في استمداد قيمته الحقيقية ، ومدى تأثيره مما يدل عليه ويوحي به من يقظة واستنهاض ، وتمرد غاضب. والاعتداد بالنفس والكبرياء يجعلان من الأدب جبهة مناهضة للضعف والجبن ، كما يجعل منه نقدا للحياة ومعارضة وتعديلا لمسارها ؛ فالحياة (موقف) وشأن الأدب الجيد أن يدل على هذا (الموقف) بالقبول أو الرفض وبالتصحيح والإعلاء من قيمته ، فيصير أدبا موجها للأمة في تناوله لواقعها ، وإثارته لوقائعها في حلوه ومره وحسنه وقبيحه .

---

(١) قيلت سنة ١٣٤٦ هـ

(٢) قيلت سنة ١٣٤٨ هـ

(٣) قيلت سنة ١٣٧٣ هـ

(٤) منذ سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٥٤ م .

(٥) قيلت سنة ١٣٤٦ هـ

(٦) قيلت سنة ١٩٢٨ م

(٧) قيلت سنة ١٩٤٢ م

وإذا كان لكل أديب (ذاتيته) فالشاعر ثم لم يتجاوز حدود (الذات) إلا ليجعل منها ذاتا منفعلة بالجماعة ، وبهذا الإدراك فهو يناجي ذاته ، ويعبر عنها ، غير أن الأمر عنده هو مدى شعوره بحقيقة المحن التي تمر بها جماعته ، لم يشأ أن يرى الاستعمار يسحق أمته ، ويشتت شملها ، ويمزق وحدتها ويسلب خيراتها . . دون أن يكون لذلك تأثير على نفسه ، وكيف له أن ينزوي مؤثراً السلامة واليسر والترف فيشتري سكوته بالصمت والدوران حول الذات ؟

لقد امتلك من الحس الشاعري ما استطاع أن يميز به بين موقفين متباينين ، موقف سقوط الأمة وترديها وضعفها وتخلفها ، وموقف يقظتها وسموها وتحضرها ، وفي كلتا الحالتين ـ مع ما بينهما من فرق ـ كان قادرا على العطاء والإجادة واستخلاص مادته وموضوعاته ثم الانفعال بموضوعات شعره ، وبما تدل عليه من (موقف) . فالقضية تكمن في القدرة على استغلال الحادثة والتعبير عنها إدراكا منه أن شأن الأمة أي أمة أن تعيش أيام مجدها وعصور ازدهارها بالأدب الثائر المنفعل بالحياة والمستجيب للطموحات والرافض لكل ما يقوض القيم العليا ، ومثل الحق والخير والجمال . ولا يفترق في ذلك أدب أمة عن أخرى : فكم كان (شكسبير) و (موليير) وأمثالهما في الأمتين الإنجليزية والفرنسية ثائرين على حياة الضعف والخنوع . وبالقدر نفسه ثار شعراء العربية من القديم وحتى الحديث ، وهذا ما كان من (خالد الفرج) في شعره الوطني الداعي لمحاربة الاستعمار وتوحيد الأمة والدفاع عن الوطن السليب ؛ فكان شعره محركا لوجدان الأمة يعيش في أعماق الضمير العربي والإسلامي ، وينفعل بأحداث الحياة في لهجة حادة وقاسية حينا ، وهادئة ساخرة أحيانا أخرى ، فجاء شعرا منفعلا بأحداث المجتمع ، يعاصر معركة الحياة الضاغطة الممتلئة غضبا ؛ فيحرك المشاعر ، ويستثير الحمية والنخوة على نحو قول (أبي مسلم البهلاني ت ١٣٣٩هـ) :-

ما تنفع الغيرة في مكمنها ... والسيف في قرابة لا ينتضى
نقعد يشكو بعضنا لبعضنا ... وما مفاد من شكا ومن بكى ؟
أليس عارا أن نعيش أمة ... مثل الملقا أو غرضا لمن رمى (١) ؟

ويأتي شعر (خالد الفرج) على هذا النحو ممتلئا بالضيق والألم والسخرية ؛ فحين عقدت الجامعة العربية اجتماعا سنة ١٩٥٤م لمناقشة اعتداء اليهود على قرية (نحالين) قال :-

---

(١) ديوان أبي مسلم (ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني) ٦٨ ـ ٧٠ الطبعة (١) ـ القاهرة سنة ١٩٥٧ والنص من مقصورته (تلك ربوع الحي في سفح النقا) وهي على البحر الرجز (مستفعلن ٦ مرات) .

أف لهذا الوضع أف ... إن لم تفوا بالقول كفوا
ماذا السكوت وفي وجو ... هكم تداولت الأكف
عيشوا كراما أو فموا ... تحت رايات ترف (١)

ويسترجع أحداث التاريخ في قوله :-

أعد الكرامة يا (صلاح الدين) ... في وقفة أخرى على (حطين)
فلو العداء من الصليب لهونت ... لكن و وأسفاه من (صهيون)
والأم ثكلى تستغيث وما لها ... من مستجيب فوق ذا المسكون
قد صمت الأحياء عن صيحاتها ... فليسمع الموتى دعا المحزون
شعثاء عارية تسيل دموعها ... قد خددت قساتها بغصون
لم يبق للعدل الصحيح سوى اسمه ... في مجلس للأمن غير أمين (٢)

والالتجاء لوجدان الجماعة أمر أساسي لوجود الأمم وخلودها واستمرار حياتها ، وهو أدب الثورة الحقيقية والعضب الذي منهجه وهدفه استنهاض الأمة ، وتحريك وجدانها .

أما لغة شعره فكانت ذات طبيعة فعالة تجاوز بها الوقوف عند مجرد حمل الموضوعات لتكون وعاء للفكر إلى أن تكون ذات طبيعة خاصة مرتبطة بالايحاء والتأثير والتصوير ؛ ولذا فإنه اعتمد على الأساليب الإنشائية التي تستبطن الداخل لتعبر عن كوامن النفس ، وتصور الحالات الوجدانية والباطنية .

أما التصوير الفني فليس مجرد مطابقات ، وجمعا لعناصر متماثلة يربط بينها في حدود المحافظة على أصول الأشياء في مكانها ، ولكنها رؤى شعرية خالصة تحاول الكشف عما خفي دون خضوع للأمور الثابتة ولمنطق استقلال عناصر الصورة عن بعضها . وهذه الرؤية يتوحد فيها (خالد) مع الموقف وتتحد العناصر : فكرة وعاطفة وخيالا وأداء لغويا ونغما .

فالصورة عنده كانت إيحاء لما يقصده إليه في حدود جزئياتها وتفاصيلها متجاوزة الأحاسيس الذاتية إلى باطن الأشياء والتكثيف ، وإن أسلوب الدلالة على الفكرة بالتصوير يقصد لزيادتها وتمكنها في نفس السامع ، وجمال الأداء في الصياغة لا في الفكرة على نحو قوله مصوراً حال الشرق العربي :-

---

(١) خالد سعود الزيد : المصدر السابق ٥٥ والنص على مجزوء الكامل متفاعلن ٤ مرات .

(٢) المصدر السابق نفسه والقصيدة على البحر الكامل التام (متفاعلن ٦ مرات) .

هذي بلاد العرب في ضعفها ... لا يعطف الجار على جيرته
في كل شبر دولة تاجها ... كصاحب التمثيل في جوقته
يلعب في تيجانها ضدها ... كلاعب (الشطرنج) في رقعته
ما (قيصر) الطاغي على ظلمه ... أقل ظلما منه في سلطته
فـ (قيصر) يسأل عن ظلمه ... وذاك لا يسأل عن فعلته
ندور ، لكن دوران الرحى ... والناس مثل النور في سرعته
لا يدفع الغرب سوى بأسه ... أو قوة تسمو إلى قوته

فقد توفرت عوامل التصوير ، وتوالت ألوان التشكيل الفني في الجملة الشعرية ، كالتشبيهات والمجازات والاستعارات . . (كل دولة تاجها كصاحب التمثيل في جوقته) ، وإن تلاعب العدا بالتيجان شبيه بما يفعله لاعب (الشطرنج) ، وإن الأمة تبقى في حركة دائرية تدور دوران الانفعال الرحى . وجمال التصوير عنده ليس إلى المبالغة ؛ ولكن الشكل الفني ينقل مدى الانفعال بالتجربة تجاه حدث وفكرة هما مجال الانفعال . والصور التي يبدها خياله إحدى وسائله في استخدام اللغة لإثارة القيم الشعورية والفكرية والتربوية والأخلاقية وغيرذلك ، فالصورة ليست مجرد قالب أو وعاء توضع فيه الأفكار ، وتجمع المشاعر للتوصيل ؛ ولكنها وظيفة يدرك مدى تأثيرها كبناء لغوي متصل ومتكامل يقتضيه الإبداع أكثر منها شيئا دالا على المعاني والأفكار على نحو قوله :-

والشعر ما شق ستر القلب جوهره ... كالكهرباء ، وسطح الجسم مختوم
تحنو عليه قلوب السامعين كما ... يحنو على وردة الأزهار برعوم
خاض الفلاسف في تعليله عبثا ... وكنهه - إن أردنا الحق - معدوم
حتى إذا حارت الأفكار تائهة ... تضاربت في معانيه التعاليم (١)

والتراكيب والصور لا تتجاوز الاتجاه التقليدي المتأثر بها في القديم إلا يسيرا . وقد تجيء لا بوصفها أشياء متقابلة ، وجمعا بين أمور متماثلة ، وزيادة توضيح للمعروف في حدود المحافظة ؛ بل هي انكشاف وتوضيح لما لم يعرف ولما لم تتضح حالته بعد ، فتجيء الصور في إطار تضام الأشياء واتحادها فكرا وشعورا في وحدة نفسية متكاملة . وإذا كانت الصورة رؤية فنية متجددة ينفعل فيها الشاعر مع الموقف الذي يعبر عنه في إطار من العمق والترابط بين أجزائها ، وفي إطار

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٣٤ والقصيدة على البحر البسيط مستفعلن فاعلن ٤ مرات .

من تناسق الصور المتشاكلة ، وانضمامها لبعضها ـ فشعره يتوافق مع تلك الرؤى في بعض جوانبه مثلما هو في قصائد الرثاء وما يبدي من حديث عن النفس في الشعر الذاتي من نحو دعوته المتفائلة :ـ

رقد الطيرو وأغفت حدق الزهر الجميلة
ورنت نحوي ألحاظ من النجم كليلة
وتثنت فوق رأسي أغصن البان النحيلة
وبدالي قمر النقص بأنوار ضئيلة
ولهيب الشوق في قلبي قد زاد عليله
ومضى الليل وما أبقى لنا إلا قليلة
وسرت في الجو أرواح من الطل بليلة
وأنا أنتظر الوصل بساعات طويلة(١)

والنظرة الإنسانية والمواقف الفكرية ، وتشكيله لمضمون تجربته من أدق الأمور حساسية في تفسير شعره . وإن التصوير والنغم والتركيز على المعاني الإيحائية للألفاظ ، وتوظيف التراث فيما تضمنه شعره كلها وسائل اعتمدها بشكل دقيق و واسع في إثراء تجاربه فـ (نونيته) :ـ

يا ليت شعري هل العربان عربان وقد رأت ذلهم والخزي (لوزان) (٢)

هى صدى لـ (نونية) أبي البقاء الرندي في ضياع دولة الأندلس ، وكذا قصيدته : (تمثال ترومان) و (قبية) ، فالأولى مطلعها :ـ

في (تل أبيب) بنوصهيون قد نصبوا تمثال (حاخمهم هاري ترومان)

فقد ظهر مدى استلهامه المعاني التراثية ، والاستعانة بها واستحضارها للدلالة على(الموقف) الحاضر :ـ

---

(١) شعراء نجد المعاصرون ص ٧٦ ، والقصيدة من مجزوء الرمل فاعلاتن ٤ مرات .
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٥١ .

لو كنت من (مازن) حطمت هامته ... بمعول الفعل لا آهات أحزان
وكالجمار رجماه بباقعة ... من قاذفات أبابيل ونيران
(لكن قومي ، وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء ولا شانا)
(يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءتهم فينا بإحسان)(١)

والثانية مطلعها :

لو كنت يا (قبية) من (مازن) ... لم يستبحك (اللقطاء) اليهود
لكن قومك ، واسوأتا ، ... تدرعوا اليوم بذل العبيد (٢)

فالقصيدتان فيهما استدعاء لما في قصيدة (قريط بن أنيف)

لو كنت من (مازن) لم تستبح إبلي ... (بنو اللقيطة) من (ذهل بن شيبانا)
إذن لقام بنصري معشر خشن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا (٣)

وإن تصرف خالد الفرج في قافية الأولى فجعلها مكسورة عنده .

وعلى هذا النحو سرى في شعره تيار تراثي يدل على مدى غرامه بتضمينه (١) لمعطيات التراث ، واستلهامه لدلالات التاريخ التي تربط بين الماضي البعيد والحاضر القريب ، وهي دلالات ذات مغزى للمقارنة بين عهدين وموقفين بينهما اغتراب وبعد ؛ فقد ضمن قصيدته في تكريم (شوقي) وتقليده إمارة الشعر أحداثا وأسماء لها قدم في التاريخ الأدبي ، وأثر فكري لربط الحاضر بالماضي ، والموازنة بين عهدين وحدثين وشخصيتين .

من منبت الدر تسليم وتكريم ... لشاعر اللغة الفصحى وتفخيم
حياك في دارانا البحرين لؤلؤها ... والنخل إذا بسمت فيه الأكاميم
وكيف لا ؟ وهي مهد (الضاد) إذا درجت ... فيها غذاها بها شيخ وقيصوم

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٧٣ وقبية إحدى بلاد فلسطين التي استباحها اليهود وعاثوا فيها فسادا .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٥٧ .

(٣) التضمين : اشتمال الشيء على غيره ، واحتوائه على معناه ، وإفادته ما يفيده والايماء إليه إشارة أو استنباطا . ويدل على إيقاع الكلام موقع غيره ومعاملته معاملته لتضمنه معناه واشتماله عليه ، وهو خاص بالشعر غالبا سواء أكان جزءاً من بيت أو أكثر مع إفادة أنه من شعر الغير ولو بالرمز إذا لم يكن السابق مشهورا . ويحسن إذا أفاد زيادة وعبر عن موقف يشابه الأول .

ومهبط الشعر فـ (ابن العبد) شاعرها ومن مفاخر (عمرو بن كلثوم)

ثم يقول لشوقي :-

مضى (المعري) بعد (ابن الحسين) إلى أن ثلثت بك للشعر الأقانيم
ثلاثة أنت بالأسماء خاتمهم إن النتائج تبديها الخواتيم
إن يدعي (المتنبي) فوق رتبته فإن فضلك لا يأتيه تأثيم
أو بعد أن دار (رهن المحبسين) به ففي تضمنك المعلوم تعميم (١)

ولم يقتصر الأمر في استدعاء مآثر التراث ، ومعانيها الدالة على مجرد شيء من الربط بين ماضٍ تقطعت بنا سبله ، وحاضر تشكله تيارات وأفكار متداخلة تتهاوى به حسب ؛ وإنما يأتي هذا الاستلهام جلاء لحقيقة الماضي وقيمته أولا ، ثم إيحاء على أنه ليس ماضٍ تولى ؛ ولكنه الغائب الحاضر الشاهد على عصرنا ، فالماضي يحيا في الحاضر ، والحاضر يستمد إشعاعه وانطلاقه وحركته من الماضي ، فتصير الأحداث التاريخية ، والمواقف المؤثرة في الزمن الماضي ، وكذا الشخصيات التراثية رموزا مستلهمة و (معادلا موضوعيا) لاستدعاء الزمان والحدث استدعاء حياً ومؤثرا لا مجرد تسجيل وإشارة . ولم يتضح ذلك في موضوع تكريم شوقي بإمارة الشعر حسب ، ولكن في حديثه عن شاعر الكويت (صقر الشبيب ١٨٨٤ - ١٩٦٣) م في قصيدته (إلى شاعر الكويت صقر الشبيب)

(معري الكويت) و (بشارها) هززت من النفس أوتارها (٢)

وفي رثائه للسيد (طالب بن السيد رجب النقيب (٣)

بطل (العراق) لقد قضيت الواجبا وبلغت من (طوبي) الخلود مراتبا
كل الرموز وإن تعددت السمى ترمي لتقديس البطولة غالبا
سجن أحب إليك من أغراضهم هو سجن (يوسف) حين بادر هاربا
فشممت فيه من (عرابي) نفحة ورأيت من (سامي) شهابا ثاقبا
وبقيت في سبل المحاور ناصبا وسواك نال مراتبا ورواتبا (٤)

(١) المصدر السابق نفسه ١٣٣ - ١٣٥ .

(٢) خالد سعود الزيد : خالد الفرج حياته وآثاره ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) أحد زعماء العرب في العراق أيام الخلافة العثمانية ، من مؤسسي جمعية العهد العربية ، وقف ضد الإنجليز فاعتقلوه ونفي إلى جزيرة (سيلان) حتى قضي ، وأبنه خالد الفرج بهذه القصيدة سنة ١٣٤٨هـ .

(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٠٦ - ١٠٨ وهي على (الكامل التام) .

فقد جمع بين (طوبي) و (سجن يوسف) و (عرابي) و (محمود سامي البارودي) جمعا بين طارف التراث وتالده ، كما في رثاء (أمين الرافعي) [1] بين (سعد زغلول) و (مصطفى كامل) في قصيدته :

نشر الحزن على الشرق سحابا يملأ النفس هما واكتئابا

وفي مثل قوله مناديا صلاح الدين :-

أعد الكرامة يا (صلاح الدين) في وقعة أخري على (حطين) [2]

إلى غير ذلك مما استطاع خالد الفرج استيعاب أحداثه واستعادة زمانه ومكانه وجعل رسالتها تنسجم مع الحاضر في إشارات وإيماءات لها دلالالتها وغيرها مما هيأ لقصائده جوا مشعا يجمع المآثر القديمة مع الأحداث المعاصرة في موازنة ومقارنة .

من ثم تشكلت مكونات الصورة الأدائية من الموروث الشعري : فظهر مدى احتفائه بالصور المألوفة والتراكيب المتداولة . وكان النزوع للجانب المادي وتسليط الحواس الظاهرة عليه هو أساس بناء الصورة ؛ ولذا فالمملكة المتخلية عنده تؤلف الصور من مصادر سابقة مختزنة فتستدعى ، وهي صور تكاد تتماثل في مصادرها وأنواعها وأشكالها ، ففيها (التقريرية) المباشرة التي لا تتعدى حدود الحسيات والرموز الخارجية البعيدة عن التعمق والتصوير الفني والتفصيل ، وإثراء الحساسية ، وتعميق الوعي الإنساني . ولو استطاع استغلال العناصر الفنية من عاطفة وخيال ووظفها في الرؤى الجمالية لانتهى إلى إمكانات وطاقات فنية ثرة ؛ لا مجرد صور ليس لها امتداد واتصال ظلال .

ويشيع في نغم القصائد البدايات (المصرعة) حيث مراعاة (القافية) في أول (مصرع) من القصيدة للبدء علامة بارزة في شعره كله ، حتى القصائد القصيرة ، وهذه نزعة (تقليدية) دالة على عمق ثقافته التراثية . فـ (التصريع) يوحي بتآلف النغم العروضي ، ويوميء إلى ما سيأخذ فيه الشاعر من موضوع ، وعلى ما سيترتب عليه من (القافية) وما يقصد إليه من (روي) ، فبمجرد قراءة سطر المطلع يتأكد أن ثمة تجربة شعرية لها خصائص نغمية ملتزمة في (البحر) و (القافية) و (الروى) .

---

(١) المصدر السابق نفسه ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه ٥٣ .

والنغم العروضي نغم حزين يتواءم ومجالات شعره القومية والوطنية والإسلامية . وهذه المواءمة كانت فطرة أوحت له بأوزان وبحور تتناسب وموضوعات شعره من مثل الأبحر الرباعية التفاعيل المزدوجة (البسيط والطويل) ومن الأبحر الثلاثية التفاعيل الموحدة (الرجز ـ الرمل ـ الوافر ـ الكامل) ثم من (المتقارب والخفيف) .

وغالبا ما يرتبط الوزن العروضي في مقاطعه بالحالة النفسية التي يأخذ فيها من فرح وحزن ، وحب وكره ، وانفعال وهدوء ، وراحة وشقاء ؛ ففي حين تكون نبضات سريعة متلهفة في السرور ، إذ بها في الحزن متباطئة في أنين ووداعة وهذا ما يسهل النطق بمقاطع كثيرة في الحالات الشعورية المحزنة ، وفي الشعر الوطني والاستنهاض والحماسة ؛ حتى إن أكثر قصائده على البحرين (الطويل والبسيط) فبالإمكان قراءة الشعر في وضوح ويسر دون مشقة أو إجهاد للنفس ، ولكي يستقيم النظم فمن اللازم أن تبقى المشاعر وقفا على تلك الحالة التي أوحت له ما يرى .

ومع أن محاول تلمس العلاقة بين (موضوعات) شعره و (نغمه) والكشف عن مدى الارتباط بين موضوعاته ، وما يدور بنفسه وأوزان قصائده ـ أمر شاق ، إلا أن ما يغلب الظن أن الأوزان التي طالت مقاطعها وانتظمت غالب قصائده في (البحر البسيط) و (الطويل) ـ كانت مما يصلح للأمور الخطيرة ، والمواقف الوطنية والحماسية ، وحالات الحزن العميق ؛ فهذان البحران يعدان من أكثر الأوزان مواءمة لإفراغ دفعات الحزن .

والدلالة على الموقف النفسي بكل أبعاده ؛ فهما بحران رباعيا التفاعيل المزدوجة (البسيط) يتكون من (الرجز) مستفعلن و (المتدارك فاعلن) ، والطويل يتكون من (المتقارب فعولن) ومن الهزج (مفاعلين) فتفعيلاتهما مزيج من الرجز والمتدارك والمتقارب والهزج ، فهما بحران رباعيان متسعان بطبيعة تفاعيلهما وثنائيتها وانبساط الحركات وتواليها في (العروض) و (الضرب) ويعدان في مقاطعهما الطويلة (كل منهما يتكون من ثمانية و عشرين صوتا مقطعيا) من الأوزان القومية والدينية لإلف الأذن العربية لنغمتهما وشيوعهما .

وبصفة عامة فإن طبيعة البحرين تتفق مع الشجن والحنين والذكريات والانسيابية والإيقاع الذي يعطي النفس حالة من حالات السمو والصفاء وقصيدته (لوزان) :ـ

يا ليت شعري هل العربان عربان وقد رأت ذلهم والخزي (لوزان)

اتفق فيها الموضوع الحزين عن فلسطين مع (النون) التي سبقتها الألف ؛ فهذه المدة توافق

الانكسار والحزن والألم ، فالارتفاع بالألف التي تسبق (النون) يوحي بأن ثمة طباقا صوتيا . والنون صوت أسناني لثوي أنفي مجهور .

أما الخروج على إطار وحدة البيت الموسيقية وبنيته النغمية فكان تقسيما يقوم على ثلاث تفعيلات في بعض الأسطر وتفعيلتين في البعض الآخر كما في قصيدته (الوصال) (١)

اصبري . . ريثما يسري نسيم البحر ... وانظري في أفق الليل شعاع القمر
ومتى هب النسيم ... وتهادى كالسقيم
فاذهب مسرعة ... نحو أدواح النعيم
تجديني حيث كنا ... نرشف الحب القديم

وهذه المحاولات لا تعد عملية تشكيل نغمي جديد ؛ ولكن مجرد إحساس بوطأة الالتزام العروضي على نفسه أدرك ينبغي أن يجدد ، فهو تعديل طفيف في الفلسفة الجمالية . وكان بإمكانه التجديد في الشكل لو أنه أراد في إطار الالتزام بموسيقى الشعر . ورسم القصيدة على هيئة (شطرين) أو على هيئة (السطر الشعري) ليس هو نهايةالتجديد ، فالأمران يرجعان لشيء واحد ، والفارق بينهما يتمثل في مجرد بسط القصيدة في مساحة كبيرة ، أوضمها على هيئة بيت ذي (شطرين) على نحو ما جاء في قصيدته :-

. . قال هذا ثم ولى غاضبا ... ليس يدري أي صوب يقصد
وجهه أشبه بالرمل سفت ... فوقه الريح عبوس أجعد
تارة يهرع في مشيته ... وتراه تارة يتئد
يقصد الغابة ؟ لا ألنهر ؟ لا ... تارة يمشي وأخرى يقعد
قالت الكبرى وأومت نحوه ... وفي ذات الفضا يبتعد
لم لا يبدي لنا قصته ؟ ... لنواسي بعض ما قد يجد (٢)

فيمكن أن توزع وتقطع على نحو يرضي أذواق الدعاة لحداثة الوزن :

قال هذا ... ليس يدري
ثم ولى ... أي صوب يقصد ؟
غاضبا ... وجهه أشبه بالرمل

(١) عبد الله إدريس : شعراء نجد المعاصرون : ص ٧٥ ،
خالد سعود الزيد : خالد الفرج ص ١٣٥ .
(٢) خالد سعود الزيد : المصدر السابق ص ١٣٨ .

سفت فوقه الريح — يقصد الغابة . . لا ؟
عبوس أجعد — ألنهر ؟
تارة يهرع في مشيته — لا تاره يمشي
وتراه تارة — وأخرى يقعد
يتئد

ولو تصورناه وزعها على هذا النحو لبرز رونقه مثلما رأى الدكتور محمد مندور في شعر (محمود أبو الوفا) في قصيدته التي لم تحرم من روح الشعر وصفاته ويسره

في مزهري ألحان أخشي أغنيها — أخشى على الأوتار من هول ما فيها

« فإنه لو قطع كما يقطع شعر اليوم لبرز رونقه على النحو التالي :-

في مزهري ألحان
أخشى أغنيها
أخشى على الأوتار
من هول ما فيها » (١)

وموضوع قصيدة (الوصال) حكاية راع اعتمدت النظام العروضي الخليلي على (البحر الرمل) (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) مرتين وجاءت في شكل مجموع من (التوقيعات) (٢) النفسية التي تكاد تتألف منها جميعا صورة تامة كلية فيها وحدة عضوية ؛ لأن العنصر القصصي يسر الوحدة فيها . والتوقيعات فيها مرتبطة بعملية التصوير أكثر من ارتباطها بالبناء والأداء اللغوي ؛ ذلك أنها مجموعة مشاهد أو لوحات كل لوحة قائمة بذاتها ؛ وبالنظر المتأني فيها فإن ثمة خيطا يجمعها ، وينظم لوحاتها فيعمل كل مشهد على الانتظام مع ما قبله وما بعده .

ويظهر فيها عنصر الحوار بين ثلاث فتيان عن ذلك الراعي الذي احترن في أمر مشاعره ، وأنه لا يبديها لهن فأحبين كشف حقيقة عواطفه ؛ فإذا هو ذلك الشاعر الذي عاش ومات وجداً في ليلاه لم يترك إلا ذلك الشعر الذي يحكي حقيقة مشاعره .

. . على هذا النحو استطاع خالد الفرج أن ينتقل بالقصيدة العربية إلى أفق أرحب في موضوعها وفي صياغتها امتدت لتربط وجدانه الذاتي بوجدان الجماعة في المجال الوطني والديني والاجتماعي والفكري وأثر ذلك كلة في القيم الدينية والاجتماعية والتربوية ، وبعث الروح التي تربط الماضي بالحاضر .

(١) مندور د . محمد : الشعر المصري بعد شوقي روافد أبوللو ص ١٣٠ ـ القاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر د. ت .

(٢) التوقيعات : جمع توقيعة وهي مصطلح حديث يدل على أن القصيدة ، وخاصة الطويلة ذات المنحى القصصي والتاريخي تجمع عدة تداعيات ومشاهد تتراءى منفصلة عن بعضها ، وكل مشهد يدل على موقف خاص ، غير أن صلةً ما تجمع بينها لتكوين فكرة كلية عامة ، وإن بدت متفرقة أو شبه متضادة .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١ ـ إدريس (عبد الله) شعراء نجد المعاصرون .

٢ ـ الخـترس (فتـوح عبد المحسن) الدكتور : هجرة الدواسر من البحرين ١٩٢٣ ـ ١٩٢٨ بحث منشور ـ حولية كلية الإنسانيات ـ جامعة قطر ـ عدد ١١ سنة ١٩٨٨م .

٣ ـ خميس (عبد الله) ـ معجم اليمامة ـ دار اليمامة .

٤ ـ الرشيد (عبد العزيز) ـ تاريخ الكويت .

٥ ـ الرومي (نورية صالح) الدكتورة : الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور ـ الكويت سنة ١٩٨٠ ـ الطبعة (١) ـ شركة المطبعة العصرية .

٦ ـ الريحاني (أمين) ملوك العرب ـ بيروت سنة ١٩٦٧ الطبعة الخامسة ـ دار الريحاني للطباعة والنشر .

٧ ـ الزيد (خالد سعود) أدباء الكويت في قرنين الجزء الأول .

٨ ـ الزيد (خالد سعود) خالد الفرج حياته وآثاره ـ الكويت سنة ١٩٨٠م ـ الطبعة الثانية ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع .

٩ ـ سالم (يوسف) ـ معجم أدباء الكويت .

١٠ ـ سنان (محمد بهجت) ـ الكويت زهرة الخليج العربي .

١١ ـ الصباح (عواطف) الدكتورة : الشعر الكويتي الحديث .

١٢ ـ الطائي (عبد الله محمد) الأدب المعاصر في الخليج العربي ـ القاهرة سنة ١٩٧٤ ـ معهد الدراسات العربية .

١٣ ـ العقاد (عباس محمود) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ـ القاهرة سنة ١٩٧٣ ـ دار نهضة مصر .

١٤ ـ العلي (أحمد محمد عبد الله) شعر صقر الشبيب ـ الكويت سنة ١٩٨٦ ـ منشورات ذات السلاسل ـ طبعة(١) .

١٥ ـ الفرج (خالد) ديوان خالد الفرج .

١٦ ـ مندور (محمد) الدكتور : الشعر المصري بعد شوقي : روافد أبوللو .

١٧ ـ النعيم (عبد العزيز) المنطقة الشرقية بين الماضي والحاضر .

١٨ ـ هلال (محمد غنيمي) الدكتور : دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده ـ القاهرة ـ مكتبة مصر .

١٩ ـ الوقيان (خليفة) الدكتور : القضية العربية في الشعر الكويتي .